الاختيار الثوري

مجلة مغربية عربية

الوضع الفلاحي بين الأزمة البنيوية وعواقب الجفاف

النظام المغربي والعلاقات السرية مع العدو الصهيوني

تجربة الحركة الوطنية مع القصر

بقلم الأخ محمّد البصري

نقد تجربة اليسار المتطرف : الجملة الثورية في الميزان

الصحراء المغربية و مسألة تقرير مصير الشعوب

ابن رشد : قمة الفكر العقلاني العربي

صيف 1981 ★ العدد 53 ★ الثمن 10 ف

الى المناضلين

الخيار احمد

محكوم بالاعدام

اطلس محمد

١٨ سنة وراء القضبان...

والى جميع المعتقلين السياسيين في المغرب

نهدي هذا العدد..

الاختيار الثوري

الاختيار الثوري

مجلة مغربية عربية

فهرس

كلمة العدد	3
الوضع الفلاحي بين الأزمة البنيوية و عواقب الجفاف	7
القضية الوطنية و مخاطرات النظام	15
علاقات النظام المغربي مع العدو الصهيوني	19
اضواء على طبيعة النظام المغربي	27
تجربة الحركة الوطنية المغربية مع الناصر	35
الصحراء المغربية و مسألة تقرير مصير الشعوب	41
ابعاد الأزمة اللبنانية	49
نقد تجربة اليسار المتطرف : الحملة الثورية في الميزان	73
الرابطة الافريقية "الاشتراكية" في خدمة الاستعمار الجديد	85
ابن رشد : قمة الفكر العقلاني العربي	87
قمع و معتقلات	93

صيف 1987 ★ العدد 53

كلمة العدد

ليس هناك تعبير آخر لوصف سلوك الطبقة الحاكمة حاليا غير الخيانة المتعددة المظاهر: خيانة اقتصادية ووطنية وقومية في وقت واحد. كما ليس هناك كلمة أخرى لوصف موقف الدولة غير العجز أمام تفاقم الاوضاع على كافة المستويات. فقد بادرت الطبقة السائدة لاستغلال ظروف الازمة، وتسابق المضاربين وكبار الملاكين والاحتكاريين، بمجرد ظهور المؤشرات الاولى للجفاف، الى الاستفادة من الوضع الجديد عن طريق التحكم في أسواق الحبوب والمواد الغذائية من جهة، وتوسيع ملكية الارض ومضاعفة استغلال الجماهير في المدن والبوادي من جهة ثانية، وهكذا تضاعف جيش العاطلين في البوادي بسبب انعدام المحصول الزراعي وموت الماشية (انظر مقال: الوضع الفلاحي بين الازمة البنيوية ونتائج الجفاف)، وفي المدن بسبب الهجرة القروية المتصاعدة وطرد العمال وتشريدهم بالمئات دون أدنى اعتبار للمصلحة الاقتصادية الوطنية، بل ان أرباب العمل، تحت توجيهات الدولة، يستخدمون اكثر فاكثر تزايد جيش العاطلين لمواجهة مطالب العمال وتحركاتهم، في حين تعمقت علاقات الرشوة وتفشت الفوضى في جميع المرافق، مع ان هذا الوضع ليس وليد اليوم، بل هو النتيجة الضرورية لسيطرة علاقات النهمية في بلادنا.

واذا كانت الدولة في السابق قد لجأت الى بعض الحلول الترقيعية في مواجهة الاوضاع، فانها اليوم قد استنفدت حتى امكانيات الترقيع، ولم تجد "حلا" غير تكبيل البلاد بقيود الديون الخارجية بحيث اصبح الاقتراض من الخارج هو النشاط

البارز للدولة، وبلغت قيمة الديون أكثر من أربعين مليار درهم، أي خمسين بالمائة من المنتوج الداخلي الخام. ومع ذلك يتحرا المسؤولون عن استراتيجية التنمية هذه على تغطية المشاكل والتلويح بـ"المشاريع الكبرى" التي لا تتناسب مع حاجيات الجماهير العريضة، هذا في حين أن تعمق خطورة الأوضاع قد وجد صداه داخل التحالف الحاكم نفسه، وبرزت المنافسة في شكل انقسام "الأحرار" مؤخرا، كمسابقة على نفس المصالح، تحركها نفس الدوافع الاستغلالية.

ومع خطورة الوضع الاقتصادي والاجتماعي، لم تخفف الدوائر الامبريالية من دعمها للنظام في المغرب، بل نراها تراهن أكثر على دوره الفعال ضمن الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة. وفي هذا الاتجاه يعتبر كل من "الاجماع الوطني" و"التسلسل الديموقراطي" تمارات حيوية يتحرك النظام في اطارها لتنفيذ مخططاته التفقيرية والقمعية والخيانية بشكل عام. ان "التسلسل الديموقراطي" بمثابة حرية وديموقراطية الطبقات الحاكمة في استغلال واضطهاد الجماهير. وقد جاءت عمليات القمع والمحاكمات الموجهة ضد المناضلين الاتحاديين بوجه خاص لتبرز عن طبيعة الأهداف والنوايا التي ما زالت تدفع أقطاب الأصلاح أملا في انقاذ "الاجماع الوطني" وتوسيع تسلسل الديموقراطية المزعوم. هذا في الوقت الذي يتبين فيه أكثر من أي وقت مضى أن النظام لا يملك وسيلة أخرى للحفاظ على مصالحه غير وسيلة القمع، فهو لا يملك امكانيات التطوير الاقتصادي، بل يجتهد في تطوير أساليب القهر السياسي والاجتماعي ولا يتردد في تخطيط الأزمة عن طريق "اصلاح التعليم" والتهديد بوضع حد لمجانية التعليم الخ... على سبيل المثال.

أما على صعيد القضية الوطنية، فان النهج الذي اختاره النظام بانسجام مع مصالحه، والذي رسمت خطوطه الرئيسية اتفاقية مدريد ما زال يعطي ثماره المرة. لقد اختار النظام، مرة أخرى، تحت ضغط فرنسة المتزايدة، بتواطؤ سياسة افتحام الباب لإعادة النظام الموريتاني، وقد يجتهد مؤيدو النظام داخليا في ايجاد تبريرات له من الأحداث الأخيرة في المنطقة، لكن تبريراتهم تنقصها القدرة على الاقناع. واذا كانت التناقضات داخل موريتانيا موجودة ـ مع العلم أنه لا يصح طرحها طرحا عرقيا مطلقا ـ فان العامل الرئيسي والحاسم في تلك الاحداث يبقى هو سياسة النظام الخيانية التي اضعفت قضيتنا الوطنية في نطاق التدويل والمساومات والتقسيم، وما كان لها أن تؤول الى غير الحالة التي نشهدها اليوم (انظر نضال القضية الوطنية ومغامرات النظام).

غير أن الممارسة الخيانية للنظام قد تجاوزت كلا من الوضع الداخلي والمسألة الوطنية لتبرز بشكل جلي على المستوى القومي. فتحت مظلة "لجنة القدس"، يواصل الحكم ورئيس الدولة فيه بالتحديد، الاتصالات مع الشخصيات الصهيونية في تحد تام للشعوب العربية ولقضيتها فلسطين التي يزعم زورا الدفاع عنها (انظر النظام المغربي والصهيونيـــة).

ان مجموع هذه الأوضاع تدفع موضوعيا الى انفجار السخط الجماهيري، وقد أثبت وعي وكفاح الجماهير الشعبية والمناضلين قبل سياسة المراهنة على "الاجماع الوطني" لتحقيق "المكاسب الديموقراطية" بكل المخاطر والشوط الذي قادت اليه، وأخرها قضية محاولة الانقلاب في موريتانيا ومحاكمات المناضلين الاتحاديين، وتبين أن جوهر الخط الاصلاحي الدخيل لا يتنافى بناء الاداء الحزبية بناء ثوريا حقيقيا، وهو لذلك يعيش أزمة متنامية لم تنفع محاولات الحوار العقيم في التخفيف من حدتها (راجع المذكرة حول "العلاقة" مع المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي).

واذا كانت الأبعاد الحقيقية للخط الاصلاحي ومشكلته البنيوية العميقة قد اتضحت لبعض المناضلين فحسب، بل أمام الجماهير الشعبية عامة، فقد بات مطروحا، بناء على طبيعة المرحلة ومقتضياتها، رفع العمل اليومي الى مستوى طموحات الجماهير الشعبية وأهدافها السياسية والنضالية.

★

"الديموقراطية" المخزنية

مرة أخرى يكشف النظام المغربي عن مفهومه الحقيقي للديموقراطية المخزنية التي يمارسها منذ بضع سنوات. ففي الندوة الصحفية التي عقدها رئيس الدولة في فاتح يونيو ١٩٨١، أعلن أنه سوف يطلق مكاتب الاتحاد الاشتراكي اذا ما انسحب هذا الاخير من البرلمان عند انتهاء مدة أربع سنوات المقررة سابقا، والتي مددت بسنتين بواسطة الاستفتاء الذي نظم في شهر ماي ١٩٨٠.

ان النظام المغربي بتصريحه الاخير هذا، قد رفع كل التمامي أو غمار عن حقيقة "التسلسل" الذي أراد فرضه على الشعب المغربي، والذي استهدف عبر حلقات مدروسة ومترابطة، فرض شرعية الحكم المطلق، باسم "الديموقراطية والوطنية". لكن الجماهير الشعبية، وعبرها القواعد النضالية، أدركت بالحدس والتحليل والممارسة معا، زيف التسلسل المذكور، واقتنعت من خلال الوقائع والاحداث، أن النظام لا يقبل بأدنى تطور ديموقراطي، حتى بالمفهوم البورجوازي الليبرالي، لأنه يتعارض وطبيعته المخزنية تعارضا تاما، وبالتالي، فان المؤسسات الرجعية التي أقامها هي مجرد واجهة تكتيكية، وتغطية مناسبة لممارسة استراتيجيته الحقيقية: الاستغلال والقمع داخليا، والمعاكسة اللامشروطة خارجيا..

والنظام، من خلال مواقفه الاخيرة، انما يزيد في توضيح التناقض الاساسي بينه وبين الجماهير الشعبية، ويعمق ويوسع الهوة التي تفصل بينه وبينها، في حين أن وعي هذه الاخيرة لا يزيد الا ارتفاعا ونضجا.

أما أولئك الذين كدوا واجتهدوا لايجاد التبريرات اللازمة للتسلسل الديموقراطي المزعوم، سيجدون أنفسهم على الهامش، أي خارج طبيعة الصراع الاساسي: فالنظام استغنى استغنائه، وقضى حاجته بتبريراتهم، وأصبح الآن في غنى عنها، بل ها هو يشهر سيف التهديد في وجوههم، والجماهير من جهتها لم تعد مستعدة للقبول بالتبريرات والتنظيرات التي تكشرت أوهامها على صخرة الواقع الملموس.

وهكذا تبقى الاطروحات الاصلاحية المغامرة على الهامش، ويستمر الصراع الحقيقي بين الطبقة الاقطاعية الرأسمالية من جهة، والجماهير الشعبية من جهة ثانية، في مجراه الطبيعي والتناحري...

الوضع الفلاحي
بين الازمة البنيوية وعواقب الجفاف

في الوقت الذي تعرف فيه بلادنا جفافا خطيرا، تكتسي دراسة القطاع الفلاحي أهمية بالغة. والدراسة التالية تبين بظاهر التقرير المتزايد للفلاحين وتصاعد الدجر الغذائي وبعمق التبعية ازاء السوق العالمية، وهي تدور حول نقطتين رئيسيتين هما افلاس السياسة الفلاحية للدولة من جهة، ونتائج الجفاف الذي يعاني منه المغرب من جهة ثانية.

افلاس سياسة الدولة في الميدان الفلاحي

ان محاولات تطوير القطاع الفلاحي من طرف مسؤولي الدولة عبر تعاقبهما المختلفة قد أدت الى أزمة عميقة تتجلى في الظواهر الآتية:

- تمركز ملكية الأرض بين أيدي أقلية من كبار الملاكين على حساب صغار الفلاحين الذين أجبروا على العيش في مناطق فقيرة.
- تضاعف وتيرة تفقير صغار الفلاحين، الذين يتحولون تدريجيا الى مأجورين زراعيين أو يضطرون الى الهجرة نحو المدن.
- تضاعف العجز الغذائي.
- تعميق التبعية المزدوجة ازاء السوق العالمية والشركات المتعددة الجنسية في الميدان الغذائي وفي ميدان التجهيز.

ان ازمة القطاع الفلاحي تستمد جذورها من الاولوية المعطاة للفلاحة التصديرية (الحوامض، البواكر...) التي تجبر فلاحتنا الان تكون التموين للسوق الراسمالية العالمية، مع ما يرافق ذلك من تقلبات في هذه السوق. واذا كان القطاع الفلاحي قد حظي باعتمادات كبيرة بلغت حوالي ٢٠٪ سنويا من ميزانية الاستثمار من سنة ١٩٥٨ حتى اليوم، فان الجزء الكبير من هذا الاعتمام قد اتجه الى تجهيز المساحات السقوية الكبرى التي لا تشكل الا ٧٪ من مجموع الاراضي الصالحة للزراعة، وذلك لفائدة كبار الملاكين الذين يستحوذ ١٥٪ منهم على ٤٠٪ الى ٥٠٪ من هذه الاراضي، في حين أن الاراضي غير السقوية لم تحظ الا بـ ١٥٪ الى ٢٠٪ من الاعتمادات، مع انها تشكل ٩٣٪ من الاراضي الصالحة للزراعة وحيث تعيش الاغلبية الساحقة من الفلاحين التي تهتم بانتاج الحبوب والزيوت واللحوم... وبالاضافة الى هذا التوزيع غير العادل لميزانية الدولة في هذا القطاع، فان التوجه المطبق للسياسة الفلاحية ما هو الا استمرار للسياسة الاستعمارية التي تتجاهل مصالح أوسع الفئات من الفلاحين... فما هي نتائج هذه السياسة المطبقة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي ؟

على الصعيد الاقتصادي

لقد انخفض المنتوج الخام الفلاحي بنسبة ٠,١٪ خلال مرحلة تصميم ١٩٧٢ ــ ١٩٧٧ الذي كان يتوخى زيادة بنسبة ٢,٤٪ . اما بالنسبة للتصميم الاخير ١٩٧٨ ــ ١٩٨٠ الذي كان يتوخى زيادة متواضعة بنسبة ٢,١٪ ، هو الاخر لم يستطع تحقيقها.

في ميدان الانتاج، نلاحظ بأن الاهداف المتواضعة المتوخاة في تصميم ٧٢ ــ ٧٧ والتي تتجلى في انتاج ٤٥ مليون قنطار من الحبوب لم تتحقق الا بنسبة ٨٢٪ . وكذلك بالنسبة للزيوت التي لم تتحقق فيها الا ٧٧٪ مما كان يهدف اليه التصميم الخماسي.

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الانتاج لكان ضعيفا بالنسبة لما كان يتظره المسؤولون الذين سطروا اهدافا جد متواضعة اذا ما قورنت بالحاجيات الضرورية للمواطنين.

أمام هذا الوضع لا بد من وقفة أمام ما حققته سياسة السدود التي استحوذت على استثمارات هائلة وطاقات بشرية وتقنية كبيرة.

■ نتائج سياسة السدود:

انفقت سياسة السدود على انشاء كبير بين المساحات التي من المفروض

تجهيزها (بالسدود الما...) وبين المساحات التي جهزت فعلا. ومن عواقب هذا الوضع، استنتاج عدم الاستفادة من الاموال الباهظة التي انفقت في الري والتي ادانها المواطنون بخزينة السكر المعروفة. كذلك التدابير الهزيلة في الانتاج الفلاحي الذي له انعكاس خطير بالنسبة لتموين الصناعات الفلاحية. ومقابل عجز السكر بالمقابل الذي لا يستعمل اكثر من ٥٠٪ من قدرته ناتج بالاساس عن هذا الوضع.

ان سياسة "المليون هكتار السقية" ليس لها رغبة في التعالم في الما' باعتباره العمود الفقري لكل تموين فلاحي، بل هي بالعكس تظهر قبل التوجه العام لسياسة الري العالمية، هذه السياسة التي ادت الى العجز الغذائي للمواطنين والتي ساهمت بشكل فعال في اغناء كبار الملاكين، وذلك على حساب أوسع الجماهير الفلاحية، وعلى المصلحة العليا للبلاد.

والذي يهمنا اكثر هو العجز الغذائي الذي يمثل سنة في المواد الغذائية والذي يشكل تهديدا خطيرا لاستقلال البلاد وسيادتها.

■ تمثيل العجز الغذائي:

في ظل السياسة الحالية يتعذر الحصول على الاكتفاء الذاتي في ميدان المواد الغذائية الضرورية امرا خياليا في بلد أظهرت الدراسات مع ذلك أن امكانه الفلاحية تستطيع أن تلبي حاجيات بلدان المغرب العربي كافة. لكن، وللاسف، استورد بلادنا كل سنة كميات هائلة من المواد الغذائية الاساسية.

فحسب احصائيات التجارة الخارجية، ارتفع حجم الواردات من المواد الزراعية ما بين ١٩٧٢ و١٩٧٨ بنسبة ١٢٢٪ ، وتحتل الحبوب الصدارة في هذه الواردات بمبلغ ١٦ مليون قنطارا سنويا.

ان الاموال الباهظة التي تنفق لاستيراد هذه المواد تتصاعد بشكل مهول، حيث تجعل البلاد تحت رحمة المساومات الامبريالية. ويبلغ حجم المستوردات الفلاحية من مجموع المستوردات العامة للبلاد نسبة ٢٥٪ سنويا.

فبينما كانت النفقات لاستيراد المواد الفلاحية تبلغ حوالي ٩٠٠ مليون درهم في فترة ٦٩ ــ ١٩٧٢، تصاعدت بعدها بشكل خطير حيث اصبحت تساوي ٢٩٠ مليار سنتيم سنة ١٩٧٦، و٢٢٩ مليارا سنة ١٩٧٧، و٢٦٥ مليارا سنة ١٩٧٩، اي ان نسبة الزيادة بلغت ٢٥٠٪ في ظرف العامي سنوات.

فهذال الان تصاعد كبير ومستمر في العجز الغذائي للبلاد، ناتج اساسا عن السياسة الفلاحية المتبعة من طرف النظام. فالازمة بنيوية، واتباع السياسة الفلاحية الحالية سيؤدي حتما الى ازمة كبرى لا تحصر نتائجها.

وهذه السياسة لها انعكاس خطير على الصعيد الاقتصادي حيث لاحظنا بشكل

عام ان الطاقات الهائلة (المالية والتقنية والبشرية) التي وضعت رهن اشارة القطاع الفلاحي، لكن على عكس السياسة المتبعة، قد أدت الى العجز الغذائي المتفاقم وارتباط البلاد بالسوق الرأسمالية العالمية لتموينها بالمواد الضرورية وذلك بالاقتراض من الدول الامبريالية.

ومن نتائج هذه السياسة في الميدان الاجتماعي هو الثراء الفاحش لكبار الملاكين وذلك على حساب الجماهير الفلاحية الكادحة.

على الصعيد الاجتماعي

ان الاستراتيجية المتبعة في الميدان الفلاحي تميز بالفصل عن منظور وفلسفة الخليفة السابدة في تنمية البلاد.

فمن نتائج تطبيق هذا المنظور هو حرمان أوسع الجماهير الفلاحية من كل تنمية وتطور. وهذا الحرمان لا يمكن الا أن يؤدي الى تفقير مستمر للفلاحين واستلابهم ماديا وسياسيا.

وهكذا، فان استراتيجية الحكم في هذا المضمار، ترجمت بالملموس تفاقمية الافلاس الفلاحي: العجز الغذائي، والتبعية للسوق العالمية، والتفاوت المتصاعد لجماهير الفلاحين.

ان لاثنية الافلاس هذه، في النتيجة الاساسية للأزمة البنيوية لقطاع الفلاحة الناتج أساسا عن فرض سياسة فلاحية تخدم مصلحة الطبقة السائدة.

واليوم، وفي ظل هذا الوضع الخطير، حل بيلادنا الجفاف الذي أدى مباشرة الى تدمير كل محصول زراعي وأفنى طرفا كبيرا من الماشية، تاركا جماهير الفلاحين تحت رحمة "مساعدة" الدولة.

الجفاف وتعميق الأزمة

زادت ظروف الطقس غير الايجابية هذه السنة من تعميق أزمة القطاع الفلاحي، ومن الفردي الخطير لحالة الفلاحين الفقراء. ان هذا الجفاف الذي خلق تفاوتا واضحا في الأوساط الفلاحية الكادحة، يرجع الى الأسباب الأساسية التالية:

1) فالأمطار التي سقطت في الربيع لا تكون في الحالة العادية الا كمقدمة لأمطار فصل الشتاء التي احتجبت هذه السنة.

2) مدة الجفاف كانت طويلة وقاسية حيث أفنت الماشية ودمرت المحصول الأكبر للموسم الفلاحي 80 ـ 1981.

3) عدم توفر الصمود والتدابير لمواجهة مثل هذه الحالة، وتفاقمهم

في انخاذ الاجراءات الضرورية والسليمة لمواجهة المكافحتها ومساعدة فعلية للفلاحين المنكوبين، ردع المحتكرين والمضاربين...)

والواقع أن المتضرر الأكبر من هذا الجفاف ليس هو كبار الملاكين الذين يستحوذون على كل الامكانيات المالية والتقنية والبشرية، بل صغار الفلاحين الذين ماتت ماشيتهم ودمر محصولهم من الحبوب، الشيء الذي أجبر الكثير منهم على بيع أراضيهم لكبار الملاكين وهاجروا أدراجها الى المدن. هؤلاء الفلاحين الصغار والمتوسطين الذين تبلغ نسبتهم 80٪ أو أكثر من مجموع الفلاحين في المغرب.

وهذا الجفاف طال على كل الجماهير القروية التي تمثل 75٪ من سكان البلاد والتي تعيش أساسا من محصول الأرض أو من عمل أفرادها كمأجورين فلاحيين عند كبار الملاكين أو عند الدولة.

فاذن، جفاف طويل وأمطار متخلفة أديا بها الى تعميق بؤس وفقر الفلاحين الصغار والمتوسطين، وتفصيل حالة عامة يرثى لها سواء على صعيد القطاع الفلاحي أو على الاقتصاد بشكل عام. فما هي النتائج المباشرة لهذا الجفاف ـ لان النتائج الحقيقية لا يمكن التعرف عليها الا ابتداء من الصيف المقبل ـ سواء على صعيد الانتاج الفلاحي أو على صعيد الجماهير الشعبية.

■ النتائج المباشرة للجفاف على مستوى الانتاج الفلاحي:

على العموم، بلغ العجز مستوى كبيرا، فعلى صعيد المائدة خلال أقل عدد كبير منها نتيجة تأخر النباتات، وامتناع الاحتياطات الموجودة، ناهيك عن الأمراض التي تسببت في أقل 15٪ من الغنم والماعز، وذلك 20٪ من الماشية في وقت الـــولادة.

ومحصول النباتات هذه السنة، حسب تأكيدات الخبراء، لن يتعدى ثلث حاجيات الماشية مما سيؤدي الى استيراد كميات هائلة من هذه المادة الحيوية لضمان عيش الماشيـــة.

أما بخصوص الحبوب، فالانتاج العام المنتظر لا يتعدى 20 الى 25 مليون قنطارا ان لم يكن أقل من ذلك.

وبخصوص الشمندر، فهناك تدمير 000ر6 هكتارا من أصل 000ر65 هكتارا مخصصة لهذا النوع من المنتوج الحيوي بالنسبة للجماهير.

وفيما يتعلق بالحوامض، فقد بلغت الخسارة أكثر من 000ر000ر3 طنا.

اجمالا، يمكن اعتبار هذا الوضع خطيرا جدا، بل أخطر من الوضع الذي حصل سنة 1945، نظرا للتزايد السكاني الذي لم يصحبه تزايد في الانتاج.

أما في التدابير التي اتخذتها الدولة للتصدي لهذه الحالة المتدهورة في

القطـــاع الفلاحـــي ؟

على العموم، وحسب تصريحات مسؤولي الدولة، اتخذت التدابير السهلة جدا، والتي هي في الواقع هروب الى الامام، دون أن تستطيع الهيمنة من هذا الوضع المتعدي للمتدخل بجديـة.

ويمكن تلخيص هذه التدابير في المحاور الثلاثة الآتيـة : الاقتراض، الاستيراد وتوزيـع الدعـروض.

وهكذا، اقترضت الدولة ١٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة الامريكية، في اطار برنامج "كومودياتي كريديت بروغرام"، وكذلك ٢٥ مليون دولار من البنك الامريكي للاستيراد والتصدير "الكزيم بنك"، الخ... وخصصت مجمل هذه القروض لشراء الحبوب لسد العجز الغذائـي.

ويتمثل برنامج الدولة أساسا على استيراد ٢٥ مليون قنطارا من الحبوب، وهذا المقدار يتعاز ضعف استيرادات المغرب بالنسبة للموسم الفلاحي الماضي. وتقدر قيمة هذه الواردات بـ ٣٠٠٠ مليون درهم.

وسيخصص جزء من هذه القروض لتوزيعه على الفلاحين في اطار الصندوق الوطني للقرض الفلاحي، الذي أعطيت له التعليمات ليزيد من مبلغ قرضه للفلاحين متغلا بذلك لاعفائهم بالديون.

اجمالا، يمكن اعتبار هذه الوضعية خطيرة جدا، وانعكاساتها اكثر خطورة على الفلاحين. فالفلاح الذي كان ينتج لاكلفذا الذاتي ويبيع الفائض في السوق لشراء مسائل ضرورية أخرى أصبح اليوم مجرد مستهلك كباقي الفئات الاجتماعية الاخرى، فليس له انتاج ولا فائض، بل سيضطر الى اقتال كاهله بالقروض التي يعيش.

فهذه اذن، هي وضعية الفلاح المغربي حاليا : وضعية مزرية وخطيرة جدا، لم يصبح فيها فرق ذي معنى بين المنتجين (أي الفلاحين) والمستهلكين. فالكل مستهلك للمنتوج المستورد من الخارج.

فما هي العواقب الآنية والمباشرة للجفاف بالنسبة "للمستهلكين" :

عواقب الجفـاف بالنسبـة "للمستهلكيـن"

ان أول نتيجة للجفاف في هذا الاطار، هي كثرة المضاربات. فالمضاربون يطيبونهم يزدادون ثراء في هذه المناسبات ولا يتراجون فرصة "ذهبية" كهذه للمرور دون أن يتقضـوا عليهـا.

والملاحظ هو تراكم السلطات لهؤلاء المضاربين من أصحاب شركات التوزيع والبائعين بالجملة. فجميع المناطق تتميز بهذا الوضع دون استثناء، والأثمان ضربت أرقاما قياسية خيالية.

وهكذا، فالدقيق الخالص الذي كان يباع بـ ٠,٢٠ درهما للكيلو قبل الجفاف، أصبح يساوي اليوم ٢,١٠ درهما، فنسبة الزيادة تقدر بـ ٢٢٥٪، هذا اذا ما وجد، لأنه يلاحظ فقدان هذه المادة الحيوية بالكلية لفائة المواطنين، ولا يمكن وجودها الا في السوق السوداء، ولا يمكن شراؤها الا بأثمان ٥٠ أضعاف.

فالدقيق عموما مفقود في المتاجر ولا يوجد الا الدقيق المسمى بالدقيق الاسود والذي لا يباع في الظروف العادية.

أما فيما يخص الخضر، التي لا تطيق المسؤولين تكثيرا لما جاء في تصريحاتهم، فالمضاربات فيها كبيرة : الطماطم مثلا، من النوع الغير الجيد تباع في السوق باربعة دراهم للكيلوغرام، والنوع الجيد بستة دراهم. أما البطاطا، فتساوي ٠,٢٠ درهما، والبطاطس ٠,٢٠ درهما...

هذه هي الحالة العامة، حالة كارثة عارمة لجتاح البلاد وتتمحور حول الأزمة البنيوية للقطاع الفلاحي، التي تعمقت بظاهرة الجفاف. ونتائجها الفورية هي العجز الاقتصادي الخطير ونهب الجماهير الكادحة سواء الفلاحين أو غير الفلاحين.

فما هو البديل للخروج من هذه الأزمة؟

ما هـــو البـديـــل ؟

بعد التذكير بعواقب السياسة الفلاحية المطبقة منذ الاستقلال الشكلي، والتي أدت الى افلاس القطاع الفلاحي، والتي لم تستطع ضمان الغذاء لكل المواطنين بعد ربع قرن من انتهائها، وبعد الاشارة للعواقب المباشرة للجفاف الذي تعيشه البلاد بالنسبة لواقع الجماهير الشعبية وبالنسبة للانتاج، نؤكد بأن البديل لهذا الوضع المتردي ممكن، وأن ضمان الغذاء لكل المواطنين وتحسين وضعية جماهير الفلاحيـين ممكنـــة.

فنجاح أي سياسة فلاحية يكمن في الفصل نهائيا مع الاختيارات الحالية، ولصالح كافة الفلاحين الفقراء.

أن البديل لأزمة الفلاحية لا يمكن التوصل اليه الا بحل المعضلات البنيوية التي أفرزت هذه الأزمة. فالأغلبية الساحقة من الحقول التي تكون أكثر من نصف الأراضي الصالحة للزراعة، ليس لها امكانيات استعمال التقنيات الحديثة في الانتاج، وتبقى بذلك محصورة على استعمال الوسائل القديمة، في حين أن امكانيات هذه الاقلية من الفلاحين غير الفلاحين والمأجورين الفلاحيين تبقى مستغلة بطريقة عقلانية لصالحهم ولصالح البـــلاد.

أن كل نمو في الانتاج وكذلك كل حاجيات المواطنين لا يمكن أن يتأتى الا بعمل مكثف في هذا المضمار. لكن السؤال المطروح هو: هل الطبقة السائدة تبحث

فعلا على حل هذه المشاكل البنيويـــة؟

الجواب البديهي هو العكس. فالدولة لا تريد فعلا تعبئة شاملة للفلاحين وإعادة توزيع عادل لكل الأراضي. بل هي لجأت إلى سياسة المضاربات لتهدئة الخواطر وتمرير بعض الحلول الترقيعية دون التصدي لعمق المشاكل. وفي هذا السياق تأتي مظاهرة مراكش، وكذلك المضاربات المقبلة. فالفلاح في وضعيته المهمشة، وفي حالته العزلة لا بد أن يناضل من أجل فرض حقوقـــه. فالنضال من أجل تغيير الهياكل البنيوية التي أفرزت هذه الأزمة والإنزلاقات العراقية هو العمود الفقري لكل تقدم وتحرر في القطاع الفلاحي، ولكل ازدهار ورقي بالنسبة لصغار ومتوسطي الفلاحيـــن.

★

القضية الوطنية ومغامرات النظام

سبق للنظام المغربي أن أعلن مرات متعددة على "طنجة" ملف الصحراء، وأن القضية الوطنية أصبحت منتهية. غير أن الأحداث والوقائع لا زالت تؤكد يوما بعد يوم، على أن القضية الوطنية توجد في الطريق المسدود الذي زجها فيه النظام بتزكية ودعم من بعض القيادات السياسية للحركة الوطنية.

طيلة سبع سنوات خلى النظام المغربي يبحث عن منافذ للخروج بالقضية من المأزق، لكن هذه المنافذ تظل غير سالكة وبدون أي مخرج لأن الأسلوب الذي عولجت به القضية الوطنية لأن بعيدا كل البعد عن الأسلوب الصحيح الذي تتطلبه القضايا المصيريـــة.

لقد اختار النظام منذ البداية خرق قضية الصحراء للمساومة مع الاستعمار وزج بها في المحافل الدولية متكئا بذلك في عدائها وصحتها، وفضل على عادته اختيار الحلول الاستعمارية التي توجت في النهاية باتفاقية مدريد الخيانية التي تقضي بتقسيم التراب الوطني وجماهيره، وحشر موريطانيا بجنحها منطقة وادي الذهب.

لقد عانى النظام الموريطاني من عواقب هذا التقسيم الذي كلفه غاليا لعدم قدرته على مواجهة الوضع الناتج عن هذه المساومة، الشيء الذي دفع بقوات داخلية في موريطانيا إلى الإطاحة بنظام ولد دادة صنيعة الاستعمار الفرنسي، وعلى اثر هذا التغيير عمل النظام الجديد على الخروج من الورطة التي حشرت فيها موريطانيا بعملية أخرى خاصة العراقي اجتمعت في توقيع "اتفاقية" مع دعاة الانفصال. ولقد جاءت هذه

العنصرية الجديدة نتيجة الحد والجزر المتولد عن التفجير الفجائي الذي حصل في موريطانيا. وقد تجسدت هذه التناقضات التي لا تزال قائمة في صفوف القوى الحاكمة، بين من يساند الأطروحة الانفصالية، وبين أنصار الحياد والانشغال بالقضايا الداخلية للإنعتاق على أرضية حل للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية الموروثة عن النظام السابق.

لقد جاء التفجير الذي جرائي موريطانيا سنة ١٩٧٨، في وقت بلغت فيه الجماهير الموريطانية درجة من حرب لا تقبل ولا جعل لها فيها. فالقضية التيارات السياسية في موريطانيا توجد منطقة بوحدة الصفوف المنطقة، ولا ترى طريقا للتحرر والتقدم إلا بشن وحدة شاملة وتكون في ظل أنظمة وطنية تقدمية. وهي توجد فعلا، أن العرقلة الرئيسية أمام هذه الطموحات هي النظام الرجعي في المغرب ... وهذا المخرج في حد ذاته يعتبر أداة لدعاة الانفصال الذين يطالبون بإنشاء قيادات جديدة ومتعددة لن الزيد المنطقة إلا تعقيدا.

وبين عشية وضحاها وجد من صفقوا وطبلوا بالأمس لانفصالية مديد المساهم مضطرين لتجاوزها، ونسوا أو تناسوا أن قضية مصيرية لا يمكن معالجتها بنهج أسلوب المساومة والتقسيم، وعرضها في سوق المزايدة...

ونظرا لكون النظام المغربي ظل ولا يزال عاجزا على الخروج من المأزق الذي الغرق فيه القضية الوطنية نتيجة سياسته الرجعية، فانه اعتبر أن التحرك الذي مبادرة موريطانيا نصب الماء في طاحونة خصومه مما جعله يبحث على الكفر عن الواقع.

وهكذا سولت له نفسه مرة أخرى أنه سيجد خلاً بمجرد البراء الغير في موريطانيا، فحاول يوم ١٩ مارس الماضي تنظيم محاولة انقلابية بواسطة عناصر تم تدريبها من طرف أجهزة النظام، ونقلت بواسطة الخطوط المغربية بمطاراتها الى السنغال فيسر باريس.

وقد كان للزيارة التي قام بها الحسن الثاني في بداية شهر مارس الى باريس، ولقائه مع الرئيس الفرنسي السابق، علاقة مع هذه المحاولة بالرغم من استنكارات، وبالفعل حصل النظام المغربي على الضوء الأخضر للشروع في التنفيذ، وهذا ما يفسر ان زيارة الملك الى فرنسا لم يقدم بها وزير الشؤون الخارجية المغربي الا من خلال الإذاعات ووكالات الأنباء...

ونحن لا نستغرب أن ينهج النظام الرجعي المغربي أسلوب التآمر الذي اعتاد عليه الاستعمار، وأن يستعمل هذا الأسلوب خارج الحدود. فقد ضرب النظام المغربي عرض الحائط بطموحات الجماهير الموريطانية، ونصب نفسه وكيلا عليها، واعتقد انه باستعمال حفنة من المرتزقة في مستطاعه احداث تغيير في موريطانيا وبالتالي قلب العجلة التاريخية التي تتجه اليه.

لكن التجريب أعقل، هو أن تاريخ قوى وطنية وتقدمية نفس الأسلوب.

وتحاول عبثا، رغم كل القرائن، الدفاع عن براءة النظام المغربي وعدم ارتباطه بالعناصر المغامرة، بل الأكثر من هذا وذاك انها رأت في هذه العناصر "أبطالا" جاروا ليحرروا الشعب الموريطاني، وبالتالي من الواجب عليها أن تساهم في الدفاع عن والدفاع عن صحة "مخاطرتهم".

الأسف الشديد أن القضية الوطنية أصبحت أداة تستعمل لتبرير كل التحركات: فتارة تستعمل لتجميد النضالات الجماهيرية، وتارة تكون سببا للتقرب من النظام وتجاوز جثث الشهداء، وأخرى لصبح وسيلة للتمسح وجه النظام في اطار "التسلسل الديمقراطي"، ثم تارة أخرى تكون وراء دعم مواقف النظام كقرائي للاستعمار في افريقيا، وأخرى لتبرير المواقف الخيانية للنظام من القضية الفلسطينية، وهذه المرة تم استغلالها لتفسير مغامرة النظام الانقلابية في موريطانيا... ان استغلال قضية الصحراء المغربية في محاولة لتبرير ممارسات النظام المغامرة لن تنجلي على أحد ولن يكون مآلها سوى الفشل، بل ان المطلوب من القوى الوطنية الموحدة بعدالة القضية أن تتمايز وتبتعد عن سياسة النظام المسؤولة عن الزج بالقضية الوطنية في المأزق الذي تعيشه الآن...

★

النظام المغربي
والعلاقات السرية مع العدو الصهيوني

بعد الزيارة الخيانية التي قام بها السادات الى القدس، جند الحسن الثاني كل طاقاته لاقناع الانظمة العربية بصحة مواقف السادات، وتلاحظ التأييد فارك في هذه الحملة بعض قادة الاحزاب الوطنية والتقدمية في المغرب اليهوديين من طرف الملك. وقد وصف هذا الاخير مبادرة السادات في خطاب العرش لسنة ١٩٧٧، بقوله: "وقد عبرنا من أول وهلة على أن تظل المبادرة موجهة من العرب قائمة بصفة مرصوص، ووحدة سليمة غير مخدوعة ولا منكسرة، فأولدنا الوفود الى جهات مختلفة لشرح وجهة نظرنا وتفصيل الاسباب الداعية الى عمد أن الإرادة الحسنة، وتلافي كل ما من شأنه أن يلبث في المساعدة ويتسبب الى التخذلان".

وفي الاشهر الاخيرة حققت كليرا أبواق النظام المغربي الى "النقلة" التي وضعها المؤتمر الاسلامي - الذي انعقد في الطائف في نهاية شهر يناير - في الملك الحسن، وذلك بتجديد رئاسته للجنة تحرير القدس. غير أن الاسابيع الاخيرة، كشفت من جديد طبيعة النظام واستماتته في التأثير على القضية العربية عامة، والقضية الفلسطينية على الخصوص. وقد جاء الفضح هذه المرة، من التلفزيون الاسرائيلي الذي أعلن في نشرته الاخبارية مساء يوم ١٩ مارس ١٩٨١، عن زيارة شمعون بيريز، رئيس حزب العمل الاسرائيلي، للمغرب ولقائه مع الملك الحسن الثاني.

ونحن لا نستغرب أن يستأنف النظام المغربي الجهود التي أل على نفسه أن يقدمها كعميل للامبريالية والصهيونية، فبعد أن قام بالدور الاساسي في تحضير مؤامرة

كامب ديفيد، ها هو الآن يسعى لاتمام العملية وجر حلفائه من الانظمة العربية الرجعية للانخراط بركب السادات، مستغلا قضية القدس التي يترأس لجنة تحريرها.

وسنحاول في هذا المقال ابراز الدور الذي قام به النظام العميل في المغرب، لخدمة مصالح الصهيونية، وكذلك العلاقات السرية مع قادة الصهاينة.

اسرائيل تدعم أسس أجهزة الاستخبارات المغربية

في نهاية شهر فبراير ١٩٨١، صدر كتاب في لندن يحمل عنوان "المخابرات السرية في اسرائيل"، الفه احمد بحيري الصحيفة البريطانية "دايلي ميل"، السيد "مشيوارت سليفن"، وخلال الايحات التي قام بها الكاتب الفصل بالعناصر الاساسية وبالقيادات التي تعاقبت على جهاز "الموساد" (جهاز المخابرات الاسرائيلية)، وقد استغرق بحثه حوالي أربع سنوات.

ومن ضمن النتائج التي توصل اليها، ان المخابرات الاسرائيلية، ساعدت في بداية الستينات النظام المغربي على تكوين أجهزة المخابرات المغربية، بطلب شخصي من الملك الحسن الثاني، وذلك من أجل السهر على أمنه، وافقا، فرام كل ما من شأنه أن يمس بنظامه. ويضيف الكاتب أنه بالفعل توجهت عناصر "الموساد" الى المغرب، وأشرفت على تكوين الاجهزة وتدريب عناصرها وفق أحدث الطرق. ومقابل هذه الخدمات، سمح الملك لاسرائيل أن تستعمل التراب المغربي كمحطة عبور لمعظم نشاطاتها السرية تجاه البلدان العربية، وسمح أيضا للجالية اليهودية في المغرب بالهجرة الى فلسطين المحتلة. ويضيف مؤلف الكتاب أن التنسيق بين أجهزة النظام المغربي والاجهزة الاسرائيلية، بلغ ذروته "ابان" التحضير لاختطاف الزعيم المغربي المهدي بنبركة في أكتوبر ١٩٦٥، ويؤكد أن وزير الداخلية المغربي آنذاك، الجنرال أوفقير، قد طلب من رئيس "الموساد" "ماييير أميت" تحضير الشروط الضرورية لنجاح العملية، وبالفعل ساهمت عناصر الاجهزة الاسرائيلية في تحضير العملية الاجرامية.

هكذا، ويوما بعد يوم، تؤكد الوقائع والاحداث من خلال الوثائق، مدى توغل النظام الرجعي في المغرب في علاقات مع الكيان الصهيوني، بالرغم من المحاولات اليائسة التي تقوم بها أجهزة الاعلام الرسمية لاخفاء هذا الجانب وتمويهه بواسطة التصريحات الجوفاء والكاذبة حول العناية التي يوليها النظام للقضية الفلسطينية، غير أنها تظل عاجزة عن اخفاء الحقيقة وستر الدور الخياني الذي تلعبه ويلعبه النظام الرجعي ضد القضية الفلسطينية والعربية.

ففي سنة ١٩٥٦، اثناء العدوان الثلاثي الغاشم، فرنسا، بريطانيا، اسرائيل، على أرض مصر، وبالرغم من التضامن الشعبي الذي عبرت عنه الجماهير المغربية معلنة عن تضامنها الوثيق مع الشعب المصري، فان النظام ظل ملتزما الحياد وكان

الأمر لا يعنيه، ولا يتعلق بمصير القضية الفلسطينية.

وفي أثناء حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، منح النظام المغربي للبواخر الإسرائيلية بالتزود بالمواد الغذائية في الموانئ المغربية. كما كانت القواعد العسكرية الأمريكية في المغرب تزود العدو الصهيوني بالعتاد والذخائر. وقد عبر الملك آنذاك في تصريح صحفي، عن ما عناده: "نحن هنا في المغرب لن نتراجع على دقات الطبول التي تدق في الشرق الأوسط"...

وقد وصل النظام في تعامله مع الصهيونية الى درجة أنه اشترى أسلحة مستعملة من اسرائيل، ومن ضمنها دبابات "أ. ايم. اكس ٣٠" التي جهزت بها فرقة المدرعات التي كانت تراقب في لقلعة مولاي اسماعيل بالرباط. وكذلك طائرات "فوغا ماجيستر" استخدمت للتدريب في القاعدة الجوية بمراكش.

وجـــــه جـــديـــــد للخيانـــــــة

اثر محاولتي الانقلاب ضده، ١٩٧١ و١٩٧٢، نتيجة تفجر التناقضات الداخلية للنظام، اختار هذا الأخير سلوك طريق آخر للخيانة والتآمر، اقرب حرب عصابون بحجر واحد، أولا بابعاد الجيش الذي أصبح يشكل خطرا على العرش، ثانيا الحصول على دولة تسمح له بخدمة مصالح الامبريالية والصهيونية من داخل القضية العربية.

فاذا كان الجندي المغربي قد أظهر بسالته وشجاعته في مواجهة العدو أثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣، لان النظام المغربي استغل تضحيات أبناء الشعب المغربي هذه للتآمر على القضية الفلسطينية، بتنصيب نفسه وسيطا بين الكيان الصهيوني ونظام الخيانة الساداتي. واختياره للسادات لم يكن بمحض الصدفة، فعلاقة الحسن بالسادات ليست حديثة العهد، بل ترجع الى سنوات عديدة عندما كان وليا للعهد. وهو لا يخفي هذه الصداقة، فطالما تبجح بها، وقد عبر عنها في الفترة الاخيرة في ندوة صحفية عقدها في ايفران يوم ٢١ سبتمبر ١٩٨٠، بقوله: "أما الرئيس السادات فهو ذو طبيعة ومزاج يختلفان تماما عما كان عليه عبد الناصر، بالاضافة الى أن الرئيس السادات رجل دبلوماسي بحق... فقد عرفته منذ مدة طويلة حيث كان يرافقني في مختلف الزيارات التي قمت بها الى مصر عندما كنت وليا للعهد".

لقد نسج النظام أبواب المغرب للقادة الصهاينة منذ بداية السبعينات، حيث توافد عدد منهم لزيارة المغرب عدة مرات، وهذه بعض أهمها:

زيارة ناحوم غولدمان: في سنة ١٩٧٠، اتصل مساعد الحسن باحد الصحفيين الفرنسيين، واخبره بأن الملك يرغب في اللقاء مع رئيس المؤتمر اليهودي العالمي آنذاك ناحوم غولدمان، وذلك في أقرب وقت ممكن. وقد اضطر هذا الاخير الى قطع عطلته في ايطاليا والتوجه الى الرباط، حيث التقى بالملك الذي اخبره بأن منظمة

التحرير الفلسطينية على وشك أن تصبح "أداة في يد السوفيات"... وهذا "يفرض عليها أن تتعاون معنا ويسرعة من أجل الصهيونة دون ذلك".

وكان الملك يهدف من وراء هذا اقناع الصهاينة بأن مبادرته صادرة عن قناعاته الايديولوجية، وبوجود مبرر حقيقي للتعامل المشترك. وقد تكررت زيارات غولدمان الى المغرب عدة مرات.

زيارة اسحاق رابين: كانت زيارة اسحاق رابين الى المغرب في اكتوبر ١٩٧٦، حيث التحق من أوروبا على متن طائرة مغربية خاصة برافقه الملحق العسكري بالسفارة المغربية بباريس، وداصت زيارته للمغرب عدة يومين، زار فيها كلا من فاس والرباط والدار البيضاء ومكناس. وقد التقى بالملك وعقد معه عدة اجتماعات حضر البعض منها الوزير الاول اذ ذاك أحمد عصمان وبعض المسؤولين المغاربة.

لقد تم تحضير هذه الزيارة بواسطة السفير المغربي في باريس ونظيره الاسرائيلي. ويقال أن خلال هذه المهام هي احدى العوامل التي طولت السفير المغربي اطالة مهمته كسفير في باريس التي قضى بها حوالي ١٥ سنة.

هذا وقد زارت المغرب في هذه الفترة شخصيات أخرى من أمثال أندري غوراللي الجزائري الأصل، والذي كان يشغل منصب مساعد حاكم مدينة القدس، ومستشارا لدافيد بن غوريون في الشؤون الاجتماعيـــة.

أما السيدة "تامر كولان" فقد زارت المغرب ثلاث مرات، وهي صحفية اسرائيلية بريطانية، تعمل في فرنسا مراسلة لصحيفة "معاريف" الاسرائيلية. وقد قامت بنشاط فعال في اسرائيل لشرح سياسة الملك الحسن الثاني، وبالاخص نظريته الشهيرة التي ادلى بها في استجواب مع مجلة "نيو زويك" الامريكية في بداية سنة ١٩٧٧، التي يقول فيها: "تصوروا ولو لحظة ما يمكن أن تحققه الثورة العالمية والاقتصادية العربية البترولية اذا ما توحدت مع العبقرية الخلاقة لاسرائيل من أجل تحويل المنطقة بكاملها".

زيارة موشي ديان: في يوم ٢٨ أبريل ١٩٨٠، التقى أحد الصحافيين سؤالا على الحسن الثاني حول الدور الذي قام به في ربط الاتصال بين نظام السادات واسرائيل، فكان جواب الملك كما يلي: "حينما زرت بغداد وكنا في طريقنا الى المطار التقى علي صديقي الحميم فخامة الرئيس صدام حسين نفس السؤال، فأجبته: اذا كان الجانبان المصري والاسرائيلي غير قابلين للقاء فلا أرى للمغرب أية وسيلة لا عسكرية ولا اقتصادية للضغط عليهما حتى يلتقيا، واذا كانا راغبين في اللقاء لماذا سيلتقيان في بلد عربي، في بلد مفتوح، في بلد ملتزم بالنسبة للجامعة العربية"...

وهذا جواب يلتقي عن الموضوع ولا يكذبه في نفس الوقت، والحقيقة كما تأكدت من خلال الاحداث، اظهرت فيما أن النظام المغربي لعب الدور الاساسي في نسج خيوط مؤامرة كامب ديفيد، وأن الحسن استقبل موشي ديان وزير خارجية اسرائيل آنذاك، ونظم له لقاءا مع حسن التهامي نائب الرئيس المصري.

وقد سلط موفي ديان، في شهر مارس الأخير، الأضواء على هذه اللقاءات في كتابه الذي نشره بالعبرية تحت عنوان "حل الى الأبد يأكل السيف". وقد نشرت مجلة "اكتوبر" المصرية فقرات منه، وستصدر نسخته بالانجليزية تحت عنوان "الاختراق، رأيي الشخصي في مفاوضات السلام بين اسرائيل ومصر".

ومن ضمن الدوافع التي جعلت ديان يظهر هذه الأسرار قبل تقادمها، خلافاته الجوهرية مع حكومة بيغين، التي، الذي دفعه الى تقديم استقالته من وزارة الخارجية، اي المنصب الذي كان يفضله عندما زار الملك الحسن ثلاث مرات.

الزيارة الاولى : يؤكد ديان في كتابه أن لقاءه مع الملك الحسن لم يكن اول لقاء لملك المغرب مع مسؤول اسرائيلي، اذ سبقت زيارته اتصالات متعددة مع مسؤولين اسرائيليين. ويقول انه علم مع بيغين طويلا هذه الزيارة، وان الهدف منها هو أن يربط الملك المغربي اتصالا مباشرا مع النظام المصري. ثم يضيف قائلا : "بعد جلسة الحكومة يوم الاحد ٤ سبتمبر ١٩٧٧، توجهت الى مطار عسكري واقلعت في الطريق حيث البيسوني شعرا مستعارا، وشنب "طرزان" ووضعوا على عيني نظارات قاتمة، وتوجهنا الى باريس في طائرة اسرائيلية، ومن باريس توجهنا الى المغرب على متن طائرة مغربيـــة".

وفي يوم الاثنين ٥ سبتمبر على الساعة التاسعة والنصف مساء التقى الرجلان، ولم تكن هناك حاجة لمترجم. ويقول ديان : "وأخذ الملك يشرح لي وضعه الخاص كوسيط بيننا وبين العرب، والتعقيد للمطالبين الرسميين لحكومة اسرائيل . قال في البداية ـ ربما ليخلق عندي ـ اذا ما الكفف وجودك هنا فلن أسقط من على العرش، فلدي طائفة يهودية كبيرة، وهم مواطنون مغاربة مخلصون".

"كما اكد الملك الحسن انه حتى لو ارسل الجنود المغاربة الى الجولان لمحاربة اسرائيل ، فانه في نفس الوقت يستقبل رجال الحكومة الاسرائيلية".

ويؤكد ديان أن الملك الحسن اظهر استعداده لان يفعل كل جهده لربط الحوار المباشر بين اسرائيل ومصر، كما أبدى عدم موافقته على قيام اتحاد فدرالي بين الاردن والفلسطينيين، لان في استطاعة هؤلاء أن يطيحوا بالملك حسين بعد قيام الاتحاد، وفضل الملك الحسن ان تبدأ المفاوضات مع السادات ويعدها تلتحق بالي الاطراف المعنية، ووعد الملك ضيفه بأن يعطيه جوابا بعد خمسة أيام.

"وبالفعل، في يوم ٩ سبتمبر، يقول ديان، وصلني جواب الملك، معلنا بأن الحكومة المصرية وافقت على عقد مثل هذا اللقاء بين الرئيس السادات ورئيس الحكومة بيغين، أو بين موفي ديان وبين نائب الرئيس المصري في أسرع وقت ممكن".

الزيارة الثانيـــة : يروي موفي ديان زيارته الثانية لملك المغرب، ويقول : "انها تمت بنفس الطريقة الاولى تقريبا، وكان ذلك يوم ١٦ سبتمبر ١٩٧٧، وقد استدعى الملك نائب الرئيس المصري حسن التهامي . وكان موعد اللقاء في الساعة

الثامنة مساء، وقدم الملك موفي ديان لنائب الرئيس المصري، باعتباره "صديق قديم". وقدم ديان للملك هدية وهي عبارة عن سيف ورأس رمح كنعانيان معثوران من البرونز، يرجعان الى الالف الثاني قبل الميلاد، قائلا للملك : "قبل اختراع طائرات القاذوم والصيح كانوا يحاربون بهذا السلاح واعتقدوا به بلادا".

ويؤكد ديان أن الملك لعب دورا أساسيا في اقناع حسن التهامي، وضرورة التخلي عن العناد وعدم التمسك بالشرط المصري الا وهو الانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة، وقال الملك مخاطبا حسن التهامي : "انه من غير الممكن التحدث مع اسرائيل عن السلام في نفس الوقت الذي تفرضون فيه شروطا مسبقا"، وأضاف : "ان هذه الاراضي تعد ضمانا في أيدي اسرائيل من أجل أمنها"...

الزيارة الثالثـــة : تمت هذه الزيارة التي قام بها موفي ديان للملك الحسن بعد مرور حوالي أسبوعين عن زيارة السادات للقدس، أي يوم ٢ ديسمبر ١٩٧٧، ويقول ديان هذه الزيارة أنها أرست بالفعل أسس اتفاقيات "السلام" بين مصر واسرائيل.

ولكن جدول أعمال هذا اللقاء، هو مخالفة الوثائق المقدمة من كلا الطرفين. وعندما انتهت الاعمال، ودع الملك ضيفه، ويضيف ديان هذا الوداع قائلا : "كان الوداع حارا لنهاية، فالملك الذي كان يصافحني بالامس، فانه اليوم يطبع قبلة على خدي. وقبل الخروج طلبت من الملك أن أقضي اليه ببعض الكلمات على انفراد. قلت له ان بيغين يبلغكم رغبته في اللقاء بكم، فرحب الملك على الفور قائلا : انه لمسرني في أي وقت أن يحل رئيس الوزراء الاسرائيلي ضيفا علي"...

الحصـــاد يؤكـــــــد...

هكذا وصف ديان زيارته للملك الحسن الثاني، ولكن من حق أي مواطن عربي أن يتساءل عن مدى صدق هذه الرواية انطلاقا من مواقع راويها وانطلاقا من الجواب المناقض الذي رد به الملك على السؤال الذي طرحه عليه الرئيس صدام حسين، فاذا كان الجواب سيهما فلانه جاء بعد مؤتمر بغداد، أي بعد أن قررت أغلبية الدول العربية قطع علاقاتها مع النظام المصري، ومن ضمنها المغرب. ولكن لنرجع قليلا الى الوراء، أي بعد ستي الأول من شهر على اثر زيارة لموفي ديان للمغرب، لنستجد موقف النظام المغربي واضحا، وكذلك دوره في المبادرة السادتية، كما جاء ذلك في الرسالة التي وجهها الملك يوم ٢٠ يناير ١٩٧٨ الى السادات قائلا : "ولا زلنا نأمل أن يلقى جميع الاقطار المعنيين بأمر الاحتلال الاسرائيلي بجانبكم، ويدعموا قلبهم جميعا للنضال معكم".

وقد أكد الملك عدة مرات موقفه الصريح من المبادرة ودعمه لها، وقد خصها في خطاب العرش يوم ٣ مارس ١٩٧٨، بفقرة طويلة يقول فيها : "وحدث في أواخر السنة الماضية حادث لفت الانظار وأثار الاعجاب والاكبار، وتعلقت به آمال المحبين للسلام

المتطلعين الى استقطاب الامن بصفة نهائية في منطقة الشرق الاوسط. ذلك الحادث هو المبادرة التي اتخذها أخونا وصديقنا الكبير، الرئيس محمد انور السادات. فقد أعلن هذا الاخير القرار لزيارة القدس والتفاوض مع قادة اسرائيل، للوصول الى حل يضع حدا للنزاع القائم بين العرب واسرائيل منذ ثلاثين عاما، وبادرنا على الفور الى تأييده وتشجيعه، اعتقادا راسخا منا أن القاعدة من اتخاذ المبادرة ليست في الدفاع عن النصرة الصرفة، وانما القصد أهم وأجل، الا وهو ايجاد الحل مع المخاطب الاسرائيلي"... واضاف: "لكن مبادرته هذه، وان أدركت الدول الغربية وبعض الدول العربية ما انسمت به من الاقدام الكبير والشجاعة نادرة، صلمت عليها دول عربية اخرى حكما مسبقا، وفهمتها فهما غير صحيح، وتداولتها بالتنديد والانكار".

واستمر الملك في تمجيد المبادرة الخيانية للسادات قائلا: "وتتبقى مبادرة الرئيس محمد انور السادات في عداد ذوي الاحلام الرابحة والنفوس الكبيرة رمزا للارادة والسلام، وقعارا للوفية واخلال الصالح والوئام مكان الكراهية والنفائر والخصـــــام"...

وفي هذه الكلمة لا يدع الملك اي مجال للشك في مساهمته الفعلية في بناء جسور اللقاء بين النظام الساداتي والكيان الصهيوني. هذا بالاضافة الى أن السادات، بمجرد انتهاء محادثات كامب ديفيد، وفي طريقه الى القاهرة، عرج مباشرة الى المغرب ليكون الملك الحسن اول من يطلع على نتائج الاتفاقيات، وقد عقد له هذا الاخير ندوة صحفية في الربـــاط.

ولم يكتف النظام المغربي بالوقوف عند هذا الحد، بل دعيت به وقاحته الى دعوة دول المواجهة ومنظمة التحرير الفلسطينية الى الانضمام ركاب الخيانة، وفي حالة رفضها فانه يرشح السادات بالتفاوض باسمها. وهذا ما أكده في استجواب له مع اذاعة "فرانس انتر" يوم الثلاثاء ٢٠ اكتوبر ١٩٧٨ حيث قال: "أن انور السادات سيمنح لسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية أن تنضما الى المفاوضات اذا رغبتا في ذلك. ولكن اذا رفضتا فانه سيفاوض باسم الجميع"...

زيارة شمعون بيريز والمؤامرة الجديـــدة

اذا كان الملك قد حاول، وهو ظاهريا، التنكر لصديقه السادات بعد أن اتضح أن المبادرة والاتفاقيات التي حبك خيوطها لم تعط النتائج المتوخاة، فانه بدأ من جديد نسج خيوط مؤامرة جديدة، تم وضعها بالاتفاق مع الادارة الامريكية وعملائها في المنطقة العربية، تهدف الى الاقدام على مراحل جديدة بهدف تنفيذها مستقبلا: بزعيم حزب العمل الاسرائيلي شمعون بيريز، المتوقع فوزه في الانتخابات المقبلة.

وليس من الغريب أن يلوذ الحسن الثاني على عادته، قيادة الفصل الجديد

من الخطوات الاستسلامية، وهو لا يخفر بأي حرج في ذلك، بل يعتبره واجبا لا مناص من القيام به... كما أكد ذلك شخصيا في الاستجواب الذي أجرته معه الصحيفة الالمانية الغربية "دير شبيغل" يوم ٢٠ يناير ١٩٨١، حيث قال الملك: "اذا كان الاسرائيليون يريدون السلام، فسنكون أول من يعينهم عليه، ونحن مستعدون لتحمل التضحيات اي كان"...

و"السلام" الذي يتحدث عنه الملك، هو نفس "السلام" الذي تحدث عنه سابقا ألفا" تحضيره لكامب ديفيد. هذا "السلام الذي صمد القمع ضد الجماهير الفلسطينية في الاراضي المحتلة، وهو الذي دفع بالقيادة الصهيونية الى تنظيم العمليات الارهابية ضد بيوم المقاومة وزعمائه، وهو نفسه الذي يغرق الجنوب اللبناني، بل كل لبنان الى التصعيد الاسرائيلي الدائم... وباختصار انه "السلام" الذي يهدف الى ذبح القضية وأصحابها...

ومن أجل هذا "السلام"، استدعى الحسن، المعون بيريز زعيم حزب العمل الاسرائيلي، وذلك بواسطة بعض الشخصيات الصهيونية من بينهم "ايهودا أوانيك" رئيس بلدية القدس المحتلة، وفعلا التقى بيريز بالحسن في يوم ١٨ مارس ١٩٨١، بأحدى الفيلات بضواحي الرباط وبحضر اللقاء مستشار الملك أحمد رضا الكديرة وشقيق ملك الاردن وولي عهده الحسن بن طلال.

ورغم أن وزير الاعلام المغربي حاول عبثا تكذيب هذا اللقاء، غير أن التلفزيون الاسرائيلي أكد الخبر، ولم يحاول شمعون بيريز تكذيبه، بل أكده بصفة غير مباشرة مؤكدا بأنه "التقى فعلا بزعماء عرب"... ولكنه رفض أن يدلي بأسمائهم. واضاف: "عندما اجتمع بزعماء عرب، فانني ابلغهم سياسة حزب العمل التي هي: ضد قيام دولة فلسطينية مستقلة، وضد المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، وانا مع القدس الموحـــدة"...

ويهدف هذا المخطط الجديد الى فتح الطريق أمام كامب ديفيد ثانية، في اخراج جديد، ولكنها ترمي لتحقيق نفس الاغراض، أي المزيد من احكام الطوق ضد الثورة الفلسطينية، وضد طموحات الجماهير العربية التواقة الى التحرر والانعتاق، ويرتبط هذا المخطط الجديد العربية السعودية لتكون الحجر الاساسي فيه، انطلاقا من قضية القدس، وباعتبارها "حامي الحرمين"، فانها ستحظى بموافقة الجميع، برفع العلم السعودي فوق القدس كما سبق أن اقترح ذلك بريجينسكي ألفا" مفاوضات كامب ديفيد. وبما أن الملك الحسن هو رئيس "لجنة تحرير القدس"، ونظرا لعلاقاته الوطيدة مع القادة الصهاينة، فهو المهيأ لتحضير المرحلة الحاليا التي تعتبر الوجه الثاني لعملة كامب ديفيد. وفي هذا الاطار يحضر لتلميع وجه نظام السادات، وقد سارعت السودان الى اعادة علاقاتها الدبلوماسية مع القاهرة التي لا تزال تحتضن السفارة الاسرائيلية، ودعى النصيري الدول العربية الى أن تقتفي اثره.

فتقيت الحسن الثاني لبقائه على رأس لجنة القدس ما هو الا عملية در الرماد في العيون، يهدف في الحقيقة من ورائها، اخفاء تواليد الحقيقية لاتمام مسيرة التخيانة، وحبك خيوط التآمر على القضية الفلسطينية.

باسم القدس، تمت الدعوة الى الجهاد في مؤتمر الطائف، فهل يمكن اعتبار المتخالفة قادة العدو الصهيوني، والتآمر معهم ضد القضية ضربا من الجهـــــاد!...

★

أضواء على طبيعة النظام المغربي

في سنة ١٩٧٠، نشر الباحث الامريكي "جون واتربوري" كتابا تحت عنوان: "أمير المؤمنين ـ الملكية والنخبة السياسية"، ترجم للغة الفرنسية سنة ١٩٧٩، في طبعة مضاف اليها وملحقة على ضوء التطورات التي عرفتها البلاد خلال تلك الفترة.

ويتضمن هذا الكتاب عدة فصول تحتوي على معلومات ومعطيات مفيدة لتحليل طبيعة النظام وتشريح الاساليب التي يعتمدها لممارسة حكمه المطلق.

وتعميما للفائدة، نقدم فيما يلي ترجمة مقتضبة لجزء من الفصل السابع، مع الاشارة الى أن التحليلات والتوجيهات التي تضمنها الكتاب لا تمثل سوى رأي صاحبها، مع التأكيد على اهمية المعطيات وكذا بعض التقييمات التي تعرض لها الكاتـــب.

استراتيجـــــة القصـــــر

يبدو في غالب الاحيان أن القصر ليست له استراتيجية على المدى البعيد تتجاوز أمله في النجاح تكتيكاته على المدى القريب الا انه يمكن استجلاء بعض الخطوط العريضة لسياسة عامة وأكثر منهجية، يمكن تلخيصها في النقط الاساسية الآتيـــة:

١) الاضطلاع بـدور "الحكَـم" فقـط:

ان القصر لا يقوم بمعالجة المشاكل الحيوية مثل التنمية الاقتصادية والتغيير

الاجتماعي الا من زاوية نفعية محضة، ولا ينظر الى مشاكل التصدير والانتاج والبطالة وغيرها من وجهة عيانية (اصلاح زراعي، تأميم الصناعة، الخ...)، بل من زاوية الحلول الثقافية (الاسعدة، السكن، المدود...).

ان النخبة مخطط تنموي بكل ما يتطلبه ذلك من حزم، يفترض تأييد الامة بكاملها، ويستوجب تجنيدها وتأطيرها. والواقع ان القصر كان يسعى بالضبط الى تجنب البدء بمثل هذه القوة. لانه يخشى ان يصبح سجينها أو ضحية لها. لذا فضل الاضطلاع بدور الحكم، وأن يستعمل السلطة بصورة دفاعية، عوض الاضطلاع بدور الزعيم الذي يغري حقا، لكنه ينطوي على كثير من المخاطر.

ولم يكن الملك يتميز عن الحركة الوطنية ابان الاستقلال، لانه ابتعد عن جميع الاحزاب فيما بعد، لاغيات دوره لتحكم بالنسبة لمجموع المجتمع المغربي، ولقد ذهب الى ابعد من ذلك، لانه شجع، أو بالاحرى حرض على تأسيس تشكيلات سياسية متعددة، اقتنع فيها أن القوى التي نشأت الى ذلك الحين لامتة. ولما تحقق له ذلك، اصبح باستطاعته أن يحتكم بدوره كوسيط متصف ونزيه، يفصل بين الجماعات المتنازعة، واضعا نفسه فوق كل الفرقاء، في حين كان يقوم من خلف الستار بتشجيع بعضها وتقويض بعضها الاخر. ولقد تفوق في ذلك، الى درجة أن تحكيمه لم يكن مقبولا فحسب، بل كانت ترغب فيه كل النخب التي كانت تتسابق حول ما يتركه القصر لها من هامش السلطة.

٢) مبدأ قوى محدد:

ورد في المقدمة أن المجتمع المغربي كان يتركب ـ وما يزال لحد ما ـ من قسمات متعارضة يرتكز توازنها على التوتر والنزاع. وبما أن هذه الظاهرة تشكل احدى ثوابت الحياة السياسية المغربية، فان دور التحكيم بين الجماعات المتنازعة هو أهم الادوار داخلها. ولقد احتفظ هذا الدور بأهميته في المغرب المعاصر، لكون القوى السياسية ما تزال متقسمة ومتنافسة. الشيء الذي جعل عاهلي المغرب بعد الاستقلال يباشرانه بصورة متعمدة ومحسوسة.

ولقد اخضع القصر سلوك لاضطلاع هذا الدور الى المبادئ البسيطة التالية:

أ) عدم السماح لاية جماعة أن تتقوى أكثر من اللازم وتجميع كل المناقصات الممكنة للحصيلة دون هيمنة واحدة منها. وعدم القبول بالقراض أية جماعة مهما كانت، بما في ذلك احزاب المعارضة، اذ يمكنها أن تجند أو تعطل نشاطها مؤقتا فرصة أن تحتفظ على قطعة من الحياة، يمكن احياؤها عند الضرورة.

ب) بما أن الجماعات السياسية المغربية تتشكل عادة من رئيس وأتباع، فان افضل وسيلة لابقائها على قيد الحياة هي السهر على أن لا يفقد رئيسها كامل نفوذه. ويتجلى هذا التفوق في المكانية الاتصال المباشر بالقصر، الذي يعتني عن طريق عدد من المبادرات الرمزية مثل المداورات الرسمية والتلفيف بمهمات في الخارج، الخ...

بمساعدة القادة على الاحتفاظ بقسط أدنى من ثقة اتباعهم.

ج) عدم ربط مصير القصر بمصير الجماعات التي يساعدها على الظهور (مثل الحركة الشعبية وجبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية، وغيرها)، وعدم تبني مواقفها أو برامجها. وهو بذلك يستطيع الاستفادة من نجاح أية حركة تعمل باسمه، ويحافظ التخلي عنها في حالة اخفاقها.

النخبة والعائلة الملكية

١ ـ النخبة:

تحيط بالملك مجموعات من الاتباع المخلصين لكنه يسعى الى جلب النخبة بكاملها داخل شبكة انصاره، ومع أن بعض الجماعات قد ربطت مصالحها بمصالح القصر أكثر من أخرى، الا أن الملك يؤكد على مفهوم "النخبة العائلة الكبيرة" ملتفة حول مبدأ التفوق المطلق للعرش، مهما كانت الاختلافات بين ممثليها.

ويستعمل الملك رغم مقامه وسلطته الفريدة، نفس الوسائل التي يستعملها أي عضو من أعضاء النخبة. اذ تطبع بأساليبهم وطرق سلوكهم، لانه كان زميلا أو تلميذا أو عميلا لكثير منهم خلال مرحلة الحركة الوطنية. لكنه هو الذي وضع قوانين اللعبة وأدوار الشركاء والغلاب. وهو يستعمل جميع ما لديه من وسائل الضغط لدفع النخبة الى الدخول في مخططاته واثارة دور جماعي لديها، لغير الجماعة المخطوطة التي تعرف أنها تدين له بكل ما تملك من امتيازات، وبعد اخلالها عن خضوعها لقواعد اللعبة يرخص لها بالتسابق لتوزيع منافع النظام بينها:

أ) فهو يشرف على توزيع جميع الصفقات المربحة والمعاقدات المربحة. وتشكل هذه الوسائل عوامل ضغط فعالة على النخبة، استعملها السلاطين المغاربة باستمرار لخلق علاقات الولاء أو توطيدها.

ولقد أصبحت البورجوازية التجارية مدينة جدريا أو ماليا لرؤساء السلاطين منذ الانفتاح التجاري الذي عرفه المغرب في القرن التاسع عشر. ولقد بنى الملوك للتجار القصبات والمستودعات وسهروا على تأمين حمايتهم من القبائل، وتحصنوهم رخص الاستيراد والتصدير، واعفاءات من الضرائب الجمركية. وكانت كلها وسائل لخلق البورجوازية التجارية الى النظام. ومع الاستقلال تضاعفت امكانيات القصر الاقتصادية للحفاظ على جماعة أتباعه.

ولقد بذل عاهلي المغرب بعد الاستقلال كل ما في وسعهما لتأمين ولاء النخبة. وفي نفس الوقت لم يترددا من استعمال العنف ضد كل من أفلت يتحملها.

ب) وبما أن الادارة تشكل مصدرا هاما من مصادر الربح بالنسبة للموظفين، فان الملك هو الذي يشرف على التعيينات في المناصب العليا، وعلى الترقيات داخل

الجيش. وهو يستغل أسمى المناصب الإدارية لنفسي الأغراض التي يستغل من أجلها توزيع المنافع والمكافآت المادية، أي لفرض وصايته على النخبة، أو لتطويق أتباع جدد، أو تجميد المعارضين. ونادرا ما يلجأ عضو من النخبة على رفض تعيين ملكي.

ومن جهة أخرى، تعمل كل جماعة داخل النخبة على دفع عناصر منها الى مناصب المسؤولية لاستغلال نفوذهم والحصول على حماية الجهاز. وتسهل هذه الممارسات الأمر على الملك، لأنه يستطيع بتحويل اتجاه سيل الفوائد التي يمنحها أن يقوي هذا التيار أو يضعف ذاك، مع الاحتفاظ على قدر من التوتر داخل النخبة.

٢ ـ العائلة الملكية:

أ) الدور الروحي: تشكل العائلة العلوية نواة الجماعة الدينية لاتباع الملك، ويتجاوز اتساعها حدود النخبة، وهو يعمل على توسيع شبكات نفوذه داخلها. كما يعمل على الزيادة من عدد تحالفاته داخل أسرته الدنيوية. وتتحرك عادات الامتزان تحت قيادة شخصين متميزين يجسدهما فرد واحد: الملك، كرئيس الدولة المغربية، وكأمير المؤمنين. وهو يواظب باستمرار على ازدواجية دوره الأساسية.

هذا وان العلويين لا يشكلون سوى جزء من جماعة اتباع الملك الدينية، وأتباع السلالات الأخرى وكذلك العلماء والنساء بصفة عامة بالإضافة الى بعض الزوايا حاسمة للصفات المقدسة للملك.

وهذا لا يعني أن جميع العلويين يقدسونه، بل في بعض الحالات يكون العكس هو الصحيح... ويشكل الجد المشترك لهذه الأسرة سر وجودها. أما الملك فانه مجرد عضو من أعضائها تفوق على جميع الآخرين ـ وفي كل سنة يزف الى الرباط مئات العلويين للتجديد ولائهم للسلطان الذي الحقلات الدينية. ويقومون مقابل ذلك بهبات تمنح للتنقيب، وصدقات توزع على علويي تافيلالت وهدايا خلال شهر رمضان. أما عطوة الأسرة فيقرها النظام بالمناصب الرسمية. ان هيئة الباشوات خاصة بالعلويين.

ب) الدور الاقتصادي: يشارك أعضاء العائلة المالكة بشكل نشيط في الأعمال التجارية، ويملك القصر استثمارات هامة في الأبناك والمؤسسات الوطنية والأجنبية. وقد تزوجت أخوات الحسن الثاني خارج العائلة المالكة، ويحظى أصهاره أمثال حسن اليعقوبي وأحمد عصمان ومحمد الفرفاوي بدعم القصر لانجاح مشاريعهم. وهو يمر عن طريقهم الى البذخ، نوع من "البطالة الاقتصادية".

وقد تضاعفت الثروة العقارية التي تملكها العائلة الملكية باستمرار، وهي تستعمل وسائل مصرية لاستغلال أراضيها، وتمثل الصف الأول داخل البورجوازية العقارية. وهناك أسباب جد مباشرة لهذا الثراء العقاري: فالأراضي الفلاحية تدر مداخيل منتظمة، ويمكن التنازل عنها بثمن بخس، كما أنها تدعم قاعدة العرش الاقتصادية. وجاذبية العقار تغري أعضاء العائلة الملكية بنفس القوة التي تجلب بها أي عضو من أعضاء النخبة.

المؤسسات الوطنية ومسألة السلطة

أ) مسألة السلطة:

ان القاعدة الوحيدة من قواعد اللعبة السياسية التي لا نقاش فيها، ويؤدي خرقها الى عقاب مباشر، هي تلك التي تنص على أن شخص الملك ومؤسسة العرش لا يمكن أبدا أن تهاجم أو تتعرض للنقد بصورة مباشرة وعلنية. لهذا يتجنب الجميع بعناية مسألة السيادة. ورغم استفتاء الدستور لسنة ١٩٦٢، فقد كان الحديث حول سيادة الشعب من قبيل المجازفة. وقد أوردت جريدة حزب الاستقلال بالفرنسية نصا لجمال الدين الافغاني يقول فيه: "يمكن للشعب أن يعيش بدون ملك، لكن الملك لا يمكنه أن يعيش بدون شعب". وبعد ذلك مباشرة حكم على ادريس الفلاح رئيس تحرير الجريدة، بعشرة أشهر سجنا.. ووقفت الجريدة لمدة نصف عام. كما لقي عبد الرحمن اليوسفي ومحمد البصري نفس المصير بعد أن نشرا في "التحرير" مقالات كان يبدو أنها تطعن في سيادة العرش.

ويرفض الملك بكامل الاصرار أن يفوض أي جزء من سلطته أو أن يخفض الحرفية التي يمارسها على الجيش. وكل من يثير مسألة فرعية عند الاختيارات أو يتجاوز "حدود الطاعة"، يعاقب بصرامة أو يطرد من "العائلة (النخبة)". ويشكل مثال بنبركة أقصى ما يمكن أن يصل اليه هذا الأمر.

وهو يفضل أن يتبع عباده بشكل فردي تعبيرا عن جوده وسخائه، ومن أجل خلق علاقات الزام واخضاع أكبر عدد ممكن من الجماعات.

وفي نفس السياق لا يعلن الملك دائما الا عن عفوه بالنسبة للمعتقلين السياسيين أو غيرهم: ويعني ذلك أن خطاياهم لم تمح وأنه فضل هو أن يغض الطرف عنهـا رحمـة منـه.

لقد طالب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أن يدلي بنبركة علنا بعد أن حوكم بالاعدام سنة ١٩٦٤، وطالب الحزب أن يصدر قرار العفو في الجريدة الرسمية. لكن الملك اكتفى بالاشارة ضمن خطاب عيد الاضحى ١٩٦٥، الى امكانية عفوه عنه أن هو عاد الى المغرب. وأشار بهذه المناسبة الى دوره المنصف قائلا: "وانني أبذل للذين صفحت عنهم وعفوت، فرصة السنة للاندماج في حظيرة الأمة والعمل في نطاق مؤسساتها الدستورية ومنظماتها السياسية. فان هم أضاعوا هذه الفرصة، وإذا هم تمادوا في غيهم واعتبروا الحلم بابا مفتوحا يمكنهم أن يلجوه في كل أونة وحين، فانني أحذرهم من عقبة سوء تقديرهم وعاقبة فساد أمرهم، وأنبههم أن للحلم حدا وأن للتجاوز نهايـة".

ب) المؤسسات السياسية:

أ) لم يرض الملك عن التجربة الديموقراطية البرلمانية للفترة ١٩٦٢/١٩٦٥،

لانها غرقت في الخلافات العقيمة بين الاحزاب والنواب المنتخبين دون أن تفرز أغلبية طبيعية. وهاجم خلال عدة البرلمان القصيرة وبعدها، مفهوم الديموقراطية البرلمانية، الذي انها تمزقل الكفاح ضد الفقر، وصرح أن البرلمانية تتعارض مع الديموقراطية الحقيقية. وعندما قام بحل البرلمان في يوليو ١٩٦٥، اكد أن مناقشات المجلس كانت تنتقل من الديموقراطية الغربية "... وبما تعتز به من تراث وفكر خلاق".

٢) ولعل الحسن الثاني أن يعود الى أسلوبه المألوف الذي يعتمد على المجالس الاستشارية التي يعين أفرادها بمرسوم ملكي. ولهذه المجالس دور استشاري محض، والملك كامل السلطة في استدعائها أو حلها. ان علاقة المجلس بالملك تؤكد دور "الأب" الذي اختاره لنفسه في علاقته مع النخبة. وفي مذكرة بعث بها للاحزاب بعد احداث مارس ١٩٦٥، صرح قائلا: "ويبدي سيبوطة ترعايا كافة دون تمييز، لانهم جميعا ابنائي".

٣) لقد استعمل الملك عن وعي هيبته الدينية لما للتحكم بصورة مباشرة الميدان السياسي كرئيس للحكومة من ١٩٦١ الى ١٩٦٢، وللطرف مباشر على عمله "جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية" في اغسطس ١٩٦٣، لاحباط المعارضة التي كانت تنتقد مواقفه على المستوى السياسي المحض.

٤) ومع ذلك فهو يريد أن يبقي في نفس الوقت على ما يفيده النشاط السياسي حفاظا على الواجهة الليبرالية لنظامه. وهو يتأرجح في الوقت ذاته للتخلص من حدة الانفعالات وقطع طريق استقطاب اتباع جدد على القادة السياسيين. ولقد عمل على الحد من القوى العاصرة للمعارضة المتمركزة في المدن، والتي تتوفر على عدد كبير من العاطلين متخرطين في التنظيمات نقابية. ويعمى الى قلب هذه الوضعية لصالح البادية التي حظيت مكاسبها بكل عنايته في السنوات الاخيرة، وتجمع على خلق نخبة قروية بانشاء المجالس الاقليمية القروية. وبينما تحاط عمليات تعديله لبدأ السعودة بدعاية صاخبة، انقطع عن الحضور في الاستعراض العسكري لفاتح ماي. ولقد ساهمت وزارة الداخلية بنشاط في السياسة العملية باتخاذ اجراء اعادة سكان أحياء الصفيح العاطلين الى قراهم سنة ١٩٦٧، لتفتيت تجمعاتهم داخل المدن الكبرى. كما شاركت الحركة الشعبية، حزب البربر الملكي، بدورها في هذه الاستراتيجية لانها تحاول منذ ١٩٦٦، استقطاب سكان أحياء الصفيح، وقطع الطريق داخل البوادي على النقابات والاحزاب ذات الاصل الحضري.

ج) الجيش والشرطة:

يعتمد الملك اكثر فاكثر على وزارة الداخلية والجيش لتطبيق سلطانه في الميادين الاقتصادية، من ادارة الاراضي المسترجعة من طرف الدولة الى بناء المدارس او توظيف عاطلي المدن والبوادي. ولكل كل من وزارة الداخلية والجيش وسيلتين من وسائل السلطة. وهو يعتمد عليهما لمواجهة ضغوط المعارضة، ويعتمد عليهما كل

أمامه في تحقيق هدفه الاسمى، الا وهو: تحقيق "التقـــــدم" في جميع الميادين بفضل اجراءات تقنية دون احداث أي تغيير في الوضع السياسي الراهن. ويظل الجيش في حالة احتياط ضد كل من يريد النيل حق الملك في تسيير اللعبة السياسية حسب رغبته. وهو لا يتقطع عن تذكير جميع المشاركين (بما فيهم الجيش) بأن هيبته الدينية تمده بسند اعبي يجعله فوق كل الجماعات التي تكون النخبـــة.

الـــشـــبـــاب:

يواجه النظام الملكي مشاكل ملحة، هو مشكل الشباب ايديولوجية قادرة على ارضاء طموحات الشباب المغربي. ولقد اعتمد الحسن الثاني لحد الان في هذا الميدان على خليط من روح المواطنة والقيم الدينية لتكوين عقلية رعايا، ومواطني المستقبل. انه يحث الشباب على التضحية والعمل من أجل الوطن ـ على غرار الذين تطوعوا في عهد والده أبناء طريق الوحدة ـ. وبعد الفيضانات التي اصابت تافيلالت في عام ١٩٦٥، دعا الى العمل الطوعي من أجل بناء سد على وادي زيز، ليكون رمزا للانطلاقة الوطنية. وفي يوليو ١٩٦٦، أعلن عن الخدمة العسكرية الاجبارية، وقرر في صيف ١٩٦٨، تأسيس هيئة من الشباب للقيام بأشغال خدمة الصالح العام. وقرر في نفس السنة اقامة العطوات داخل المدارس، وشرع في بناء دور الشباب لتلقين الشباب القيم الوطنية. ورغم أنه يدرك تماما أن الشباب لا يتخدعون بمثل أيمانهم وأحداثهم لضغط المظاهر الدينية، فهو يريد مع ذلك أن يحافظ على هذا القطاع من الرأي العام الذي استعصاه في الماضي السند لقلب ميزان القوى لصالحه ضد معارضة ذات ميولات علمانية.

خـــلاصـــــات

١) لقد ضحى الحسن بمستقبل مشاكل البلاد من أجل المهيمنة على النخبة، وأدى به نجاح مناوراته بالنخبة الى ردود فعل منها: أن كل جماعات النخبة اصبحت خوفا من جراء مراقبة جميع نشاطاتها ومتابعة حتى العادية منها. وتبقى هناك قوتان لا يمكنه أن يفرض استسلاما، وهما الشرطة والجيش. ويضطر حاليا الى استعمال كل ما لديه من مهارة بمزاولة دوره التحكيمي، لكن التلاعب بقادة قوات الامن، وابطال فعاليتهم بدفع كل منهم ضد الاخر من أجل استئصال كل ميل للانقلاب ضد العرش عملية خطيرة تتأرجح فيها القصـــر.

٢) لقد قبلت النخبة بطواعية تطليص مجال نشاطها لانها وجدت في ذلك بعض التعويض: فهي تتفادى النظام وتستفيد منه في آن واحد. ولقد طالب بعض الوطنيين، بكل اخلاص، أن تكون المسؤوليات السياسية الوطنية مسؤوليات جماعية، ويبحثوا عن الوسائل للتحقيق ذلك. لكن القصر يهدمهم ومزاجهم أو رمى بهم في زنازنه. ولقد خاب أمل بعضهم في مقاومة النظام وتعودوا على مشاهده الى درجة انهم أصبحوا عاجزين

عن الانفصال عنه، ومع ذلك يأملون أن تفيئهم بلاقتهم اذا ما سقط النظام.

٢) وبالنسبة للشباب، فان النظام لا يملك غير وصفات معلبة لخلق روح المواطنة وتنميتها لديهم. واذا كانت الكوارث الطبيعية أو النزاعات حول الحدود قادرة على احيائها، فان ذلك لا يتم الا بصيغة مؤقتة في أحسن الاحوال. أما الحلول الظرفية والمرتجلة، فان الفكرار يفقد ما كثيرا من فعاليتها. ان تجنيد الشباب بالقوة في جماعات العمل سيؤدي بهم لا محالة الى الحقد وليس الى الاعتزاز، لانهم يعرفون اكثر من غيرهم أن المحظوظين ليسوا مطالبين بنفس التضحيات وبنفس الثمن.

★

وقائع وأحداث تاريخية

بقلم الأخ محمد البصري

في سنة ١٩٧٤، ومع ركوب النظام المغربي موجة "التحرير" فيما يخص الصحراء المغربية، قام الأخ محمد البصري بتحرير مذكرة بصدد المرحلة التاريخية التي تلت الاستقلال الشكلي، والتي تسلط الاضواء على تصرفات النظام المغربي في هذه المرحلة بالذات، التي ستكون لها انعكاسات بالغة الاهمية على المسار الذي عرفته الاحداث منذ ذلك الحين.

ونظرا للاهمية التاريخية للمذكرة، وما تضمنته من وقائع بقيت طي الكتمان، ننشر نصها بالكامل، عسى أن تكون بهذا قد ساهمنا في التعريف بمرحلة لم يعايشها اغلب الشباب المغربي، آملين في نفس الوقت أن تكون هذه المبادرة مجرد بداية، وأن يساهم كل المناضلين المخلصين الذين عاشوا تلك المرحلة في تزويد المناضلين والرأي العام، بالمعطيات والشهادات الكفيلة بتوضيح الرؤيا واستخلاص العبر، وبالتالي تقديم الفكر الثوري ببلادنا.

• • •

أمام ممارسات النظام المغربي والمغامرات المسموحة التي يلقي بها في الساحة ابتداء من "المغرب الجديد" و"مسلسل التحرير والديموقراطية"، وانتهاء بـ"التماثيل والتماثيل".

وأمام انسياق بعض قيادات الاحزاب وراء هذه المغامرات، بل وتبريرها وتزكيتها لدى المناضلين، محاولة اظهار النظام بما هو ليس عليه.

أمام كل هذا، أرى لزاما على نفسي أن أضع أمام المناضلين، وخاصة الشباب منهم، هذه الوقائع التاريخية التي يحاول البعض تناسيها وتجاهلها في تحليلاته.

لقد حرصت أن أسجلها بعيدا عن الذاتيات وبكل موضوعية، دون القصد من ذكر الأسماء، ومواقف بعض الاخوان الاساءة الى كرامتهم والمس بمواطنهم، والكشف في أغلب الاحيان بسرد الوقائع وجردها دون نقدها واستخلاص العبر منها، تاركا لكل المناضلين مهمة اخضاعها للتحليل والنقد لاستخلاص النتائج، بعد دراسة سلبيات مواقفنا السابقة حتى لا نلدغ" باستمرار للقبول بانصاف الحلول.

مؤتمر مدريد

لا بد من الرجوع عند تناولنا لقضية الصحراء وجيش التحرير الى المرحلة التي سبقت اعلان الاستقلال سنة ١٩٥٥، وبالذات الى المؤتمر الذي انعقد بمدريد على اثر قرار الاستعمار الفرنسي القاضي باستبدال الاستعمار القديم باستعمار جديد، وتقسيم الكفاح المسلح الذي كان قد تجاوز مرحلة التنسيق بين جيش التحرير في كل من المغرب والجزائر على الخصوص، الى مرحلة التطبيق العملي الموحد الذي رسمت خطوطه في بيان صدر عن حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من جهة، وجيش التحرير الجزائري من جهة أخرى. وقد نص هذا البيان على عدم توقف النضال الا باستقلال المغرب العربي كله. وبدأت ترجمة البيان بعمليات مشتركة فصلية فتحت ١٩٥٥ التي سقط خلالها العشرات من الشهداء من كلا البلدين. لقد قرر الاستعمار الفرنسي تقسيم واجهاض هذا الكفاح المسلح بمبادرة ارجاع محمد الخامس من منفاه، واستعداده للتفاوض من أجل استقلال المغرب، ثم القبول بذلك من طرف الحركة الوطنية بقياداتها السياسية، خاصة المتمثلة في حزب الاستقلال الذي ينتسب اليه أكبر المقاومة وجيش التحرير.

فمؤتمر مدريد جاء اذن لمعالجة الظروف الناشئة في تلك المرحلة. وقد حضر الى مدريد لمعرفة نوعية القرارات التي سيتخذها المؤتمر كل من الشهيد العربي بن المهيدي، ومحمد بوضياف، وأيت أحمد كأعضاء في قيادة الثورة الجزائرية. ولقد عارك في المؤتمر، اذا لم تخني الذاكرة، الاخوة محمد بن سعيد، الحسن الأعرج، عبد الله الصنهاجي، عباس المسعدي، سعيد بونعيلات، الدكتور الخطيب، السكوري محمد، التوزاني أحمد، المهدي بن عبود، الخالي العراقي، الحسين برادة، أحمد الدغرني، محمد البصري. كما جاءت عناصر مغربية أخرى لتتابع أعمال المؤتمرين دون أن تشارك فيه. وكان من أهم النقاط التي تولدت في المؤتمر هي: عدم قدرة المقاومة وجيش التحرير على التصدي للتيار الجارف الذي يهدف الى التخلص من أجله الحركة الوطنية على وفاق التحقيق، وبفوق ذلك ما حققته الحركة الوطنية التونسية من المكاسب التي انحصرت في الاستقلال الداخلي، وراحت كل المحاولات عبثا لاقناع القيادات السياسية بالتراجع لمقاومة وجيش التحرير بالتضال من أجل هدف أسمى وأجل، وأننا لذلك نحاول مع الاخوة الجزائريين اقناع الاخوة التونسيين بضرورة استمرار الثورة بتونس، وحاولنا بالذات مع المرحوم صالح بن يوسف. واذكر أن أيت أحمد أجل موعد سفره الى الولايات المتحدة في مهمة لدعم المكتب الاعلامي بنيويورك، وكان سبب تأجيل سفره هو الاطلاع على مقررات مدريد.

كما اذكر أن أول صعوبة اعترضتنا هي الموقف الذي طالب بادانة حزب الاستقلال بسبب موقفه من المقاومة وجيش التحرير، ولهذا رفض الاعضاء حضور خلال الغاشي ذلك المؤتمر، باعتباره زعيم الحزب رغم تأييده العلني للمقاومة بواسطة

اذاعة صوت العرب من القاهرة. وقد اقترحت مجموعة من المؤتمرين اعتماد مقترح ادانة بعث به من مدينة تطوان التي "الداخل" (اي الجزء المحتل من طرف الفرنسيين آنذاك)، الا اننا اعترضنا ورفضنا توزيع هذا المقترح، لانها رأينا في ذلك اضعافا للرأي العام الداخلي، واعتبرنا ما حدث مجرد سوء تفاهم يجب العمل على التغلب عليه، وانه لا يجدر أن يكون مجرد سلوك مجموعة أو افراد.

ملاحظات "ايكس ليبان"

بعدما وجدنا انفسنا امام قرارات سياسية اتخذت على اثر اجتماع "ايكس ليبان" مناقضة لتطوير أساليب النضال ومتابعة معركة السلاح التي أن يتحرر المغرب العربي، لم يكن امامنا الا بحث الامر الواقع، حيث حلت مشروعية التفاوض من أجل استقلال المغرب محل شرعية النضال من أجل تحرير المغرب العربي، واستطاعت القيادة السياسية المشروعية على طاولة "ايكس ليبان" لتنازع قيادة الكفاح المسلح. وما كدنا نفرغ من هذه النقطة حتى شرعنا في مناقشة القرارات المتفق عليها بين القيادة السياسية والحكومة الفرنسية بدءا من المنطقة الشمالية الخاضعة للنفوذ الاسباني مرورا بايفني الى موريتانيا غير الصحراء، مرتكزين على القواعد الامريكية وجلاء الجيوش الفرنسية والاسبانية.

ورغم الاعتراضات ضد الاسناد خلال الغاشي وآخرين ضد الاستاذ عبد الكبير الغاشي، فقد اقترحنا أن نذهب مجتمعين للاتصال بالاستاذ المرحوم علال لعرض قرارات مؤتمرنا عليه بعد الموافقة عليها. والحقيقة انه كان مدركا لخطورة الموقف والمنعطف الذي يسيطر على مجموعة منا، فحاول الدفاع عن سلوك قيادة الحزب التي استنكرت نقاط المقاومة على اثر انفجار قنبلة "مارشي سانطرال"، حيث وضع المقاومون قنابل بالسوق المركزي سنة ١٩٥٢، الذي يرتاده الفرنسيون، خلفت ضحايا كثيرة. وعلى الرغم توجه وفد من حزب الاستقلال الى السلطات الفرنسية مستنكرا العملية و"كل أعمال العنف". وقد اعتبر الاستاذ علال الغاشي استنكارهم نتيجة رغب أصابهم. كما اعتبر أن الموقف الحقيقي للحزب هو ما عبر عنه شخصيا بتصريحاته وبسلوكه، وما عدا ذلك فليس الا مواقف شخصية تمت تحت ضغوط وعوامل أخرى انتهازية، وأكد معارضته لمقاومات "ايكس ليبان" وأعلن موقفه المعارض لروح "ايكس ليبان" في تصريح له في القاهرة. وأضاف الاستاذ علال "ان التحرش على وحدة الحزب، والصورة التي أعطيت لي بواسطة بعثة حزبية جاءت للقائي بالقاهرة، جعلتني أرى أن ما حصل عبارة عن مكسب نضالي من شأنه تعزيز المسيرة نحو هدفنا المرسوم، سواء بالنسبة لتحقيق وحدة المغرب العربي أو تحرير بقية الأراضي المستعمرة وتصفيتها باقي القواعد الاجنبية". ومن أجل ذلك وقع الاتفاق على أن لا يقدم العباس بجيش التحرير لانه

الضمانة الحقيقية لاستمرار الهيمنة السياسية والتنظيمية والنفسية التي لا يجرؤنا التيار الحماسي والتعاطفي الذي يصحب عادة كل انتصار، نحو التفكك والانشطار". ولقد تم فعلا توزيع المسؤوليات بالنسبة للتداخل وجيش التحرير، كما تم الاتفاق على اعطاء تعليمات للابتعاد عن الظهور والاتفاق بالتنسيق مع التنظيم السياسي حتى تضمن حماية القواعد من التعرض للتيليتة التي بدأت تبرز اثر اجتماع "ايكس لبيان"، عندما استطاع الاستعمار الفرنسي الحصول على موافقة الحركة الوطنية لحضور ممثلي الاقطاع والخونة، ولذلك التعليمة المزيفة التي ملحت باسم ضرورة حضور "اليهود" و"البربر" و"سوس" الى اخره، على مائدة المفاوضات في "ايكس لبيان"، حيث جلس الكلاوي والحجوي وغيرهم الى جانب ممثلي حزب الاستقلال وحزب الشورى والاحرار المستقلين، فنتج عن ذلك حكومة مثل فيها كل من بنزاكين (اليهود) والسوسي (البربر) والمختار السوسي (القيم سوس)، وكذا بالنسبة لمجلس التاج.

المهم أن الاستعمار عمل على حسم الموقف بتحويله الصراع معه الى صراع على السلطة وتجزئة الوحدة الوطنية التي خلقها النضال السياسي بقيادته الحركة الوطنية عدية مسمومة سميت "الاستقلال".

ومن أجل حصر المشروعية النضالية في المقاومة وجيش التحرير وضمان وحدة النضال السياسي والعسكري، التزم الاستاذ علال الفاسي بعدم الدخول الى المغرب والتشدد، وبانتظار مدينة طنجة مقرا له، حيث قالت هذه المدينة دولية آنذاك. كما التزمت من جهتي بتنسيق الخط السياسي المقرر مع القيادة السياسية للحركة الوطنية.

بداية مناورات القصر

وفي طريقي الى الدار البيضاء، مررت على طنجة، وهنا توجدت بوجود اتصالات عائلية بين القصر الذي لم يمر على وجوده سوى بضعة أيام، وبين شخص كان عليه أن يتصل بجيش التحرير بالجبال حسب الاتفاق السابق. ثم ابلغني المرحوم عبد الله بافقير، الذي كنت مقيما عنده، بان عامل اقليم الرباط سيصل عما قريب، ولعل القصر أرسله للاتصال بالدكتور الخطيب بعد مكالمات مباشرة بالتنسيق مع أم الخطيب، وطلب اليه أن يلتحق بالرباط، وان اختيار عامل اقليم الرباط، السيد المحجوبي أحرضان لهذه المهمة يرجع الى عدة أسباب اهمها:

1) صداقة أحرضان مع الخطيب وارتباط مصالحهما مع بعض، اذ كانا شريكان في مشروع لتشييد الابطار في دائرة والعاص.

2) امكانية أحرضان من التحرك بسهولة دون التعرض لاجراء الامن والجمارك في نقطة عرياوة (النقطة الجمركية والحدود التي تفصل بين الشراب المغربي المحتل من طرف فرنسا والجزء الشمالي المحتل من طرف اسبانيا) باعتباره عاملا لمدينة

الرباط. وهكذا يمكنه مصاحبة الدكتور الخطيب من المنطقة الشمالية واجتياز نقطة التفتيش دون مراقبة السلطات الفرنسية.

ولم أتردد للحظة دون أن اناقش الخطيب مخالفته لقرارات المؤتمر، وكان جوابه يوحي الموضوع عندا ذاتية وعدم قدرته على مقاومة حبه لاعداء الامر الذي دفع به للاتصال، وانه سيكتفي بالاتصال معهما فقط. وكان من بين الحاضرين الدكتور المهدي بن عبود الذي تعهد بالتزام الخطيب، وأكد أن مجيء أحرضان كان بدافع الصداقة، وتعهد بن عبود بالحرص على تنفيذ مقررات الاجتماع.

وانطلاقا من التعهد بحرفة علاقة الدكتور الخطيب بجيش التحرير، اذ يرجع ذلك الى الحاح أحد الاخوة الجزائريين على عضد الى الجيش باعتباره من أصل جزائري، وعلى اثر ذلك استدعي لتطوان قادما من باريس للقيام بمهمة التنسيق بين جيشي التحرير الجزائري والمغربي. وقد ساعد على انضمامه لجيش التحرير انعدام الاطر والكوادر المثقفة بين صفوف المقاومة وجيش التحرير،حسب رفض القيادة السياسية لحزب الاستقلال ارسال بعض الاخوة للالتحاق بالنضال المسلح مثل الشهيد المهدي بن بركة وعبد الله ابراهيم وعبد الرحيم بوعبيد.

ولنفس الاسباب جاء "بورار" العسكري (وهو جزائري) عندما رفض بعض الضباط المغاربة الذين عرض عليهم الالتحاق بمصر ليتسلموا شحنة من الاسلحة بعد أن أصرت القيادة المصرية على ضرورة وجود ضابطين من المغرب والجزائر لاستلام الاسلحة. ومن بين الضباط المغاربة الذين تم الاتصال بهم في هذا الموضوع كل من الضابط العلاوي بطنجة (أخ علي بطنجة)، وادريس بن عيسى، الجنرال حاليا، والقبطان أحرضان. ولقد تم الاتصال بهم بواسطة الاخوة حسب الترتيب: المرحوم محمد الفرأيجي، عبد الحميد الزموري، الدكتور عبد السلام العراقي. وأمام رفض الضباط المذكورين لتحمل المسؤولية التجأنا في هذه المرة لذلك لاقتراح البديل: تكليف الضابط "بورار" من الجزائر. وقد اعترضنا في هذه القضية لكونها بمثابة المواجهين بالمصير المشترك وبالنضال الموحد مع الجزائر. وهنا لا بد من الاشارة الى موقف أحد المناضلين الجزائريين من مقررات مؤتمره، وهو الشهيد العربي بن المهيدي الذي فكر مليا لمعارضته، ثم بادرنا بالسؤال التالي:

"هل تستطيعون اقناع الملك وحزب الاستقلال معا بضرورة النضال في الاجتياح المرسوم؟ فكان ردنا أننا سنعمل جميعا وأنهم معنا على اقناعهم". ورد الدكتور الخطيب بسؤال آخر: هل ستقبل الجزائر بمحمد الخامس ملكا على المغرب والجزائر معا؟" فكان جواب الشهيد العربي بن المهيدي :"اذا قبل الملك بالخط النضالي الذي التقائم عليه، وصار بالامكان فعلا جعل المغرب المستقل قاعدة ارضية محررة للثورة الجزائرية فلا مانع من ذلك، ونحن على استعداد لبحث الموضوع في اطار الثورة بشكل منتظم عندما تتوفر العناصر الضرورية لديكم. أما الان فانا اتكلم باسمي الشخصي فقط".

وما كدنا نشرع في العمل على فتح واجهة ضد الاستعمار بالصحراء حتى فوجئت بطالبة من الخطيب بمدرسة عبد الكريم لحلو – وهو المكان المتفق عليه – بطلب طارئ، وعند لقائنا الأخير بدخوله تحت ضغط والدته، ويخبرني بالمناسبة أن الملك وولي العهد يرفضان في الاتصال بي وهو طالب بتحديد موعد للقاء جميعهم في القصر. وفعلا تم الاتفاق على موعد محدد وذهبنا بوفد مكون من خمسة أشخاص. وقد اعتقدت أن الغرض من اللقاء هو التعارف خاصة وأن الخطيب أكد رغبة الملك وعائلته في التعبير عن العرفان بالجميل لمسؤولي المقاومة وجيش التحرير، وهو واسرته عاجزان عن التعبير عن الامتنان لأولئك الذين انقذوا شرفه وشرف الأسرة، وانقذوا كرامة المغرب. إلا أن حديث العشاء تناول أشياء أبعد من ذلك ومن أخطرها انزعاج القصر من محاولة علال الفاسي بأن يجعل من جيش التحرير جيشا جمهوريا، وهو لذلك يجهل لماذا توجد عبارات تحمل صور علال الفاسي. وكان ذلك بداية الحديث لطرح موضوع حل جيش التحرير للنقاش، وبرر ذلك بوجود سلطة شرعية متمثلة في الملك والحكومة المغربية، أما وجود جيش التحرير فسيعرض هيبة السلطة الشرعية للخطر أمام الرأي العام في الداخل والخارج، ويمكن أن تخلق مراكزا في التفاوض من أجل الاستقلال. وقد طال النقاش بسبب رفضنا لذلك الاقتراح، وهنا حاول الملك تعزيز موقفه والدفاع بسلامة رأيه بالنسبة للثورة الجزائرية، وأكد التزامه بتقديم كل المساعدات الممكنة من أجل دعم تحرير الجزائر، وسيعمل على أن تكون الصحراء واجهة ضد الاستعمار لتخفيف الضغط على الثورة الجزائرية، واقترح تأجيل النقاش في الموضوع الى أن يبت في النقاط المستعجلة، كما أبدى استعداده لتحمل السلاح بعدا كأحد جنود جيش التحرير الى أن يتم الجلاء ويتحقق الاستقلال الكامل. إلا أننا تشبثنا بالخط الذي رسمه مؤتمر طنجة، وأنهى الأمير الحسن على ضرورة التنظيم لقاء للملك مع القادة المسؤولين من المقاومة وجيش التحرير لكيلهم قصد التعرف عليهم جميعا.

وهكذا انطلب اللقاء من التعارف الى انزعاج القصر من علال الفاسي، والى التمكن في مشروعية جيش التحرير، غير أن القصر لجأ الى مناورة أخرى حيث حاول اظهار استعداد جيش التحرير لتقديم الولاء والطاعة للملك، فاستدعى الصحافيين ومسئولي الاذاعات والمصورين يوم الجمعة أثناء خروج الملك من الصلاة، وجيء بعناصر من جيش التحرير باللباس الرسمي لتقديم قطعة سلاح للملك كرمز الطاعة له. قل ذلك تم بالاتفاق وبتخطيط متقن بين ولي العهد الحسن والدكتور الخطيب. وقد تم الاتصال بقيادة جيش التحرير أثناء تواجدي في مهمة بالجنوب لاعداد جيش تحرير الصحراء ونسب اليها ما دبره الحسن مع الخطيب. وما كدنا نطلع على تفاصيل المسرحية بواسطة الاذاعة حتى قررنا الانتحاق بالرباط للوقوف على حقيقة الأمر. وعند وصولنا علمنا بوجود المسؤولين يحتل أحرضان عامل الرباط والتحقنا بهم، وإذا بهم يستقربون المرتد بسبب اعتقادهم بموافقتنا على ما جرى. فسألت عن الخطيب الذي كان موجودا

بالدار البيضاء". وبعد الاتصال به حددت معه موعدا في اليوم الثاني على الساعة العاشرة بالرباط، وعندما قدمت الى الموعد المحدد كانت المفاجأة الأولى : وهي نقل المسؤولين من الجبال الى دار وزير الداخلية المرحوم الحسن اليوسي، ولما سألت الخطيب عن السرعة بادرني بالجواب قائلا : إن أوامر صدرت الي من الملك وولي العهد بذلك، وكان من الطبيعي أن يكون النقاش في اطار المسؤولية القيادية بجيش التحرير والمقاومة، ولذلك فستكون الحساسية في هذا الاطار، خصوصا وأن اللقاء تم بموافقة الملك وولي عهده كذلك.

وكانت المفاجأة الثانية : كلما نحن بالصالون أنا والحسين برفقة والخطيب، عندما وقف هذا الأخير وفتح باب العدوة الغرفة ليدخل منه ولي العهد الحسن الذي كان يتابع الحديث من وراء الستار، ثم اتجه الي الخطيب قائلا : هذا هو ولي العهد، دبر أمرك معه، وأما أنا فلست الا خادما مطيعا لسيدنا، ثم أقبل الحسن : "الله يا ودي كيف تحاسب الدكتور الخطيب على اخلاصه لملكه...!"، ولما أدرك الصراري على الموقف الذي وقع عليه الاتفاق، أبلغني أن الملك محمد الخامس ينتظرنا مساء نحن الثلاثة : الخطيب وولي العهد وأنا، ولما تم اللقاء بادرني محمد الخامس بقوله : ان لدي أربعة أولاد هم الحسن، عبد الله، الخطيب، البصري، لذا يحزنني ما جرى بينك وبين الخطيب، وأدعوكم لتوسيع الأخوة بينكم، وبعد خروجنا من القصر الملكي، دعينا من طرف ولي العهد الى مقهى على شاطئ البحر بطريق تمارة يرتادها باستمرار، فبادرني بعد نزولنا من السيارة قائلا : هل أنت من محبي الشرب وهواة الرقص؟ فأجبت بالنفي، ثم استطرد قائلا : ان جدنا عليه الصلاة والسلام قال "أحب من دنياكم ثلاث : النساء، والطيب، وقرة عيني في الصلاة".

وفي خلال الحديث سألني عن أول مناسبة التقيت فيها بالملك لان هذا الأخير لم يعد يتذكرني، فأجبت قائلا : ان أول لقاء لي مع محمد الخامس كان سنة ١٩٥١، عند اصطحابنا للطلاب مع الكشاوي باذنا مراكش، فقررنا الاتجاه الى القصر بعد أن تكلمنا وفدا يتكون من عشرة طلاب كنت على رأسه، ولا زلت أذكر تلك المناداة التي جرت بيني وبين ابن الهيبل حاجب الملك آنذاك، فلقد سأل عن رئيس الوفد ونحن على مقربة من باب قاعة الاستقبال، ولما تقدمت نحوه قد علي الخشاق وناداني بأعلى صوته "نعم سيدي، الله يبارك في عمر سيدي، وقد مراكش"، وفي نفس الوقت ضغط علي بقوة لأركع أمام أقدام محمد الخامس حسب التقاليد المرعية، وهنا صحت في الحاجب بعنف : كف يدك وابتعد عني، فتدخل الملك قائلا له : اترك الطلبة وابتعد، ولكن لهذه الحادثة أثر سيء في نفسي بسبب صعوبة الوصول الى القصر ومحاولة اخضاعنا للبروتوكول والتقاليد، وهنا تساءل الحسن عن سبب الصمت ما دام مظاهر صاحب الجلالة يستند في ذلك.

مواقف المرحوم علال الفاسي

كان من رأينا ضرورة حشد جميع الطاقات في الاتجاه الصحيح كي نتمكن من تخطي جميع العقبات، لذا قمت برحلة الى طنجة لمدارسة المواقف من جديد مع الاستاذ علال الفاسي، وهناك استعرضنا المواقف من جميع جوانبه، فالتفسيرات التي بدأت تخرج كتبرير لتآمر القصر ضد جيش التحرير، الا أن أهم شيء تركز حوله النقاش كان هو وضع الحزب، وظهور نتائج الاخطاء السابقة وتوسع موجة الحقد ضد بعض الاطر الحزبية التي يراكز سلطة الملك، فتصبح غير منازع فيها، اضف الى ذلك رد الاعتبار الى الخونة المتعاونين مع الاستعمار، وكذلك الانتهازيين، وكان ذلك هو الخط العام لسياسة القصر الرسمية، وقد عبر عن ذلك بوضوح في خطابه الرسمي بعد عودته من المنفى، ومهدت الحركة الوطنية لذلك بقبولها الدراك مولاي الخونة والانتهازيين في التفاوض من أجل الاستقلال وفي المؤسسات الرسمية الحكومية ومجلس التاج.

وكان الحرص شديدا اثناء جلساتي في طنجة مع علال الفاسي على عدم الجامد في لعبة القصر والتحافظة على رصيده النضالي، وحضر معنا في دار عبد الله باهقيل، الحاج محمد اليعمراني الذي عين في اواسط الخمسينات عاملا لإقليم اكادير، وقد قدمت بعض الملاحظات بالنسبة لضعف الحزب، فكان من رأي الاستاذ علال ان يستلم الشباب والوادر المقاومة وجيش التحرير الصحراوية في المراكز الاساسية للحزب، وعلل ذلك بتغلب أعضاء اللجنة التنفيذية وبوجوب المحافظة على كراماتهم وشرفهم، وكان من رأيه أيضا ابعاد أولئك الذين لم يتمكنوا التكيف مع الاحداث بدون تردد مثل الحاج احمد بلافريج، وأبدى اهتماما كبيرا بالمهدي بنبركة الذي بدأ يعطي جهدا تنظيميا وتوجيهيا كفيلا بتجميع طاقات الشباب والتفاف حول الحزب.

وفي معرض الحديث خلال الجدي الاستراحات، بدأنا نتكلم عن الادب والشعر، فاغتنمت الفرصة وذكرت له ملاحظة سابقة لوالدي قبل وفاته استخلصها من قراءته لشعر الاستاذ علال، يقول الاستاذ علال في احدى قصائده:

أيعد مرو الخمس عشرة انني ● والهو بلذات الحياة واشرب
ولي نظر عال ونفس أبية ● مقاما على هام المجرة اطنب

هذان البيتان يخمن علال الفاسي، حسب رأي والدي، في مستوى من التطوح لا يتناسب مع قصيدة امتدح بها محمد الخامس عند زيارته للمغرب في أواسط الاربعينات، ولم يكن قد مر وقت طويل على رجوع علال الفاسي من منفاه بالغابون حيث استطيل استطالا حارا أرهب القصر، ومن هذه القصيدة:

غلال خادم عرشك العلوي ● لا يفتك يتقلد مجدك المسلوبا

وقد علق والدي على ذلك بقوله انيك يمكن الجمع بين التطوح الذي يتنافى

المجرة مقاما، وبين القبول بوظيفة خادم يتمتع برضا سيده؟ وكان رد الاستاذ علال: ان علال الذي يتمتع المجرة مقاما هو علال القديم، ثم أخذ يقرح الضغوط التي مارستها عليه اللجنة التنفيذية للحزب اثر انزعاج القصر من التفاف الجماهير حول زعامته، الامر الذي قد يؤدي الى دفع الملك الى مسايرة الحماية الفرنسية وولوعه الى جانبها ضد الحركة الوطنية، لذا يجب تهدئة مخاوف الملك. ثم أردف قائلا: ومع انني تنازلت بخلك القصيدة من أجل فصله عن الحماية، ثم يتمكن لوجودي، فتعرضت من جديد لضغوط اللجنة التنفيذية كي أذهب الى المنفى الاختياري في الشرق العربي غير أوروبا.

وبعد هذه الاستراحة عرضت عليه فكرة ارسال بعض أطر جيش التحرير وبعدائه الى الصحراء وموافقة الاخ المهدي على ذلك بعد دراسة مشتركة سيدانية قمنا بها معا في زيارة لكل من مراكز جيش التحرير بالشمال وادارة والتقيم قاس، وقد وافق الاستاذ علال على تلك الفكرة مطبقا انه سيبحث مع الاستاذ عبد الكبير الفاسي رسم خريطة لجغرافية الحرب الحقيقية، وفي تلك الظروف التي لا زال الحزب وبالتالي المقاومة وجيش التحرير يعانون جميعا من اثر المواقف السلبية لبعض القياديين السياسيين، يمكننا أن نتساءل: هل يعتبر النقاش المهدي وعلال الفاسي والبحري ملزما لجميع المسؤولين الاخرين، ثم أليك يمكن توفير الظروف والشروط الملائمة لاستمرار جيش التحرير في وقت أصبح فيه القياديون يرون أن الهدف قد تحقق برجوع الملك، والوعد بالحصول على الاستقلال، كما يرون أن المرحلة الحقيقة تتطلب تثبيت السلطة الشرعية لدولة الملك وضمان هيبتها واستقرارها، وكان من يطلق هذا الخط أولئك الذين لم يواصلوا نضالهم باسلوب الكفاح المسلح، وكانت نظرة الاستاذ علال مقاطنة الى درجة اعتباره ان مولاي ان يجرؤ على اعتراض الموقف المتفق عليه، لاننا نحن الذين نجسم مشروعية الحزب الداخل، ولكي لا ندخل مع القصر في صراعات جانبية تلهينا عن الهدف الحقيقي، اردنا البحث عن صيغة تحدد مهمة كل واحد وتخلعه أمام مسؤولياته الوطنية لتحقيق مهمة الثورة التي جسدت بجدارة طموح الجماهير في غياب الحكام الحاليين، وبعد العودة من طنجة انصب الاهتمام كله على الجنوب حيث تتواجد أطر جيش التحرير التي ستكلف بمهمة تحرير الصحراء، ثم اجريت اتصالات مع أطر المقاومة في جميع المدن وبدأت بتعميق النقاش في هذا الموضوع مع المسؤولين النقابيين لمحاولة لربط القاعدة الجماهيرية بجيش التحرير وبالتالي ربط الجزء المحتل عمليا.

بداية الصراع على قيادة النقابة

وخلال ممارستي لهذه المهمة مع الاطر النقابية كان النقاش حادا، او على الاصح الصراع حادا على قيادة المنظمة النقابية بين السيد الطيب بن بوعزة الذي يعتبر

كانيا عالما التشابه المؤتمر الذي عبرت بأغلبية ساحقة له، وبين المحجوب بن الصديق الذي يعتبر نفسه أحق وأقدر من الأول، خاصة في ظروف ما بعد الاستقلال، ويرى أن إبعاده عن القيادة جاء نتيجة لظروف معينة أحاطت بالمؤتمر. ويمكن تلخيص المواقفين كما يلـــي :

سأبدأ أولا برأي الشهيد ابراهيم الرودائي الذي يعتبر بحق أهم مؤسسي منظمة الإتحاد المغربي للشغل والمقاومة. يقول الشهيد ابراهيم : انني أعتك في أن من يربط مساهمته النقابية بالتنازل له عن المراكز القيادية، كما أعتك في أن شخص لا يخضع لقرارات الديموقراطي مهما قيل عن الملابسات التي مر بها المؤتمر، ويمكن قبول الطعن في المؤتمر اذا كانت هناك مبررات تثبت عدم سلامة نتائجه. الا انني متأكد ـ يقول الشهيد ابراهيم الرودائي ـ أن المحجوب لا يريد الا الخير، واعتقد أن قيادة ضعيفة كقيادة الطيب يمكن أن تدور القيادة الجماعية داخل المنظمة النقابية. ثم يضيف قائلا : ان تجربتي النقابية بفرنسا أثبتت لي ضرورة استقلال النقابة للقيادة السياسية الحزبية وخطها السياسي خاصة في حالة وجود الخلاف كالمحجوب على رأس النقابة.

وأما الرأي الثاني فقد طرحه الأستاذ عبد الله ابراهيم، ويعتبر في الحقيقة رداً على الأول. يقول عبد الله ابراهيم : ان المطالب بالتطور هو الحزب، لذا على المنظمات الجماهيرية أن تفرض هذا التطور من القاعدة على الحزب، اما محاولاتي مع العناصر القيادية فانها لم تعط أية نتيجة، وآخر هذه المحاولات اجتماع بين عناصر قيادية في الحزب في الضحيرات بغية هناك، ولكن نتائج الإجتماع رفضت للاجهاض من طرف اللجنة التنفيذية، وليست هناك علامة تشير الى استخلاص القيادة السياسية العبرة من الاحداث، وهي ليست واعية حتى بتخلفها.

ويبرهن عبد الله ابراهيم على كلامه بمواقفين واضحين للجنة التنفيذية : ادانتها للمقاومة بعد حادثة "مارشي سانطرال"، ومواقفها من النقابة أثناء التحضير لمؤتمرها بمدارج "السويس" بالدار البيضاء في ٢٠ مارس ١٩٥٤، حيث وصف هذا المؤتمر من طرف أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (محمد اليزيدي حسب الروايا) بمؤتمر "السلاڤط" (أي العصاليك). وحينما سألت عبد الله ابراهيم عن رفضه الإلتحاق بجيش التحرير كان رده أن اعداد العنف الجماهيري لا يقل أهمية عن الإلتحاق بجيش التحرير.

وهكذا أصبح من العسير الوصول مع القيادة النقابية الى نتيجة تسمح بتجنيد الطبقة العاملة بسبب الصراعات الداخلية للمنظمة. جعلت عناصر الموضوع لأضعها أمام الشهيد المهدي بلبركة علنا نصل معا الى وسيلة تمكننا من تعبئة كل القوات الحية بالبلاد من أجل مواصلة الكفاح حتى يتحقق الهدف الذي ناضلنا من أجله، والذي خطط له في غياب القيادة السياسية، وأصبح علينا فرضه لكي يصبح خطا سياسيا للحركة الوطنية، وبالذات للحزب الذي عملنا داخل صفوفه كمناضلين دون أية مسؤولية سياسية. ولقد انتهى النقاش مع الأخ المهدي الى الاتفاق على فتح حوار مع الإطر

القيادية بالإتحاد المغربي للشغل، مع التركيز على العناصر الكفأة القيادية حسب رأي المهدي. والحقيقة أن أغلب الإطر النقابية كانت الى جانب الشهيد ابراهيم الرودائي أي مع الطيب بن بوعزة كأمين عام للإتحاد.

وحسب الاتفاق مع الشهيد المهدي، دعيت الى اجتماع بدار الحسين بلشهب ("الحوض") في شهر فبراير ١٩٥٦، مع كل من المحجوب بن الصديق، الطيب بن بوعزة، محمد الصديق الإبراهيمي، الشاوي اسماعيل، وقبل أن ننتهي من استعراض عناصر الموضوع احتدم النقاش بين المحجوب من جهة، وبقية المجتمعين من جهة أخرى. وقد كانت الأغلبية مصرة على انتماء المحجوب لقاعدة الديموقراطية التي حملت الطيب للنقابة العامة للإتحاد المغربي للشغل، وقد حسم الطيب بن بوعزة الموضوع في النهاية حينما ألقى مسؤولية الاختيار على بسبب الروابط التي كانت تربط بالمقاومة من طريق الشهيد ابراهيم الرودائي، اذ قال : "ما دامت المسألة تتعلق بمتابعة جيش التحرير والمقاومة لمهمتهما في تحرير الصحراء وتعبئة كل القوى من أجل ذلك فانا على استعداد للتخلي للمحجوب، وسأعمل على اقناع بقية المسؤولين". وهكذا أصبح الأمر لصالح المحجوب بن الصديق. وقد أبلغت المهدي وعبد الله ابراهيم بذلك، ثم سافرت مع المحجوب الى شرق المغرب : جرادة، وجدة، بركان، بوبكر، لفتح الحوار مع الإطر النقابية هناك، لأن الطيب بن بوعزة من هذه المنطقة، ولأنه مارس هناك عمله السياسي والنقابي الذي أهله للسجن ونفي بسببه أثناء الإحتلال الفرنسي. وكانت جولتنا هذه مناسبة لتعميق النقاش في الوضع بصفة عامة، ودور النقابة مستقبلا بصفة خاصة. كما تطرقنا الى قضية أهلنا في قيادة الحزب بالمنطقة: علال الفاسي والمهدي بلبركة.

ثم استأنفنا السفر نحو تازة لبداية المرحلة الثانية من جولتنا ونحن نتحدث عن الإمكانيات الضرورية لتنفيذ المخطط المتفق عليه داخل المنظمة النقابية، فاتفقنا على تقديم قدر مالي من تبرعات جمعت من كافة أنحاء المغرب لقاعدة جيش التحرير، واتفقنا على تجهيز بنايات المدارس للاطر، ولهذه الغاية عمدنا بعد ذلك بتسليم دار الكاوي بعراكش للإتحاد المغربي للشغل بالاضافة الى بناية بالمحمدية ودار الإقامة العامة الفرنسية بالدار البيضاء ـ دار الإتحاد المغربي للشغل حاليا ـ ولكي لا تصبح المقاومة احتراقا، نظر التحاق كل الإطر الواعية بها بجيش التحرير وخصوصا الشباب منهم مع استقطاب العناصر الكفأة من القيم سوس بالذات حيث تتوفر لديهم معرفة كافية بطبيعة الأرض.

جريدة التحرير وجيش التحرير من أجل الصحراء

ان التفكير في انشاء جريدة "التحرير" جاء في الواقع لتتميم مهمة تحرير

الصحراء، حيث تكون هذه الضحية الخيرة عن نضالات جيش التحرير، وكان من أول المرشحين للحرر في الجريدة ذات صحراوي هو الباعي محمد. الا أن التطورات التي حصلت فيما بعد جعلت من الجريدة اللسان المعبر عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وبينما نحن منهمكون في الاعداد لجيش التحرير ولعبنة النار الحية بالبلاد، فوجئنا ذات يوم بالاذاعة المغربية تعلن أن المرحوم علال الفاسي قد وصل الى الرباط ليعلن: "صاحب الجلالة" بالعودة الى المغرب. ثم رجع فور خروجه من مقابلة الملك الى مدينة طنجة، حيث تناول طعام الغذاء في عزيارة. ويرجع سبب قدومه الى الرباط واخلاده بالاتفاق العميم بينما الى الضغوط التي مارستها عليه اللجنة التنفيذية التي اصبح وضعها محرجا مع الملك بسبب التساؤلات عن سبب اقامة علال الفاسي في طنجة وعدم ممارسته مسؤوليته داخل الحزب كباقي الاعضاء الاخرين.

وهكذا ظل اعضاء اللجنة التنفيذية يمارسون عليه الضغوط باسم تهديدنا خواطر "صاحب الجلالة" حتى أدخلوه في اللعبة نهائيا، والتحق بالرباط بمناسبة انعقاد مؤتمر الحزب الذي فضحت فيه القاعدة أخطاء ومواقف القيادة. وقد استغلت هذه الأخيرة رصيد علال الفاسي ودفعته للتصدي للقاعدة الحزبية مبررا كل الأخطاء التي ارتكبت. فلم يجرؤ أحد على الرد أمام الرجل ـ الاسطورة في ذلك الوقت.

وعندما أصبح العمل على تنفيذ اتفاقنا في طنجة غير ممكن، أعد جيش التحرير مؤتمرا للصحراويين ضم كل رؤساء القبائل. فكانت مناسبة تم فيها اللقاء مع قبائل الصحراء، يدلي أحد الوطنيين بياب دكالة بمراكش، وكان من نتائج المؤتمر عقد وتنظيم اطلاليات سكان الصحراء من أجل التحرير. وقد توالت بعد ذلك المقاومة وعاية ما يقارب من ١٠٠ مقاتل صحراوي تلقوا تكوينا في المدن، فقرر ذلك أقرا بالقاعدة الخوانها في الصحراء.

وبينما كان جيش التحرير يعد لعمليات ضد الوجود الفرنسي بالصحراء وموريتانيا، والوجود الاسباني بأيت باعمران والصحراء الغربية، فاذا بالجيش الفرنسي المتواجد في المغرب "المستقل" يقوم بتحرشات من الخلف بالقيم سوس بموافقة وزير الدفاع آنذاك رضا اكديرة، وبموافقة رئيس الأركان الحسن. فالتحما جيش التحرير لتنظيمات حزب الاستقلال بالاقليم وجندها لاقامة السدود في وجه الفرنسيين، حيث أقيمت حواجز في جميع الممرات، وحفرت الطرق، وقطعت وسائل التموين. وعلى اثر ذلك احدثت خصيصا للاجتماع بـ"فيلا السويسي" بالرباط، وكانت أول مرة اجتمع فيها برضا اكديرة، ولعلها آخر مرة، فقدم اعتذارا على ما حصل، لانه هو وسمو ولي العهد ـ حسب تعبيره ـ اعتبرا تحركات الجيش الفرنسي مجرد تحركات عادية تدخل في نطاق التمارين الخاصة به. وقد بدأت في نفس الوقت حملة ضد المسؤولين على تنظيم الشعب وتعبئته ضد هذه التحركات، لان ذلك من اختصاص الدولة، حسب رأيهما. فكانت مناسبة اثرت فيها علاقة الدولة بالشعب، وكانت أول مناسبة اسمع فيها

مفهوم الدولة. فلم أستطع أن أملك أعصابي. فقد قال الحسن: ان الملك هو الذي يقرر أما الوزراء فليسوا معنيين ولا رأي لهم الا رأي الملك. لم التفت الي قائلا: انك أولى من يفهم هذا. ففي القرآن آية يخاطب فيها موسى من ربه أن يجعل له من هارون وزيرا من أهله. فقلت: أولا أن ذلك يتعلق بفترة زمنية عريقة في القدم وفيها علاقة بالديانة اليهودية، فتطورت بالمسيحية ثم بالاسلام تطورات عامة. ثانيا، انك تناسيت "واشركه في أمري"، النصف الآخر من الآية، فأجاب بأن الاشراك متعلق بإرادة الملك.

وليهول الصدمة التي أصابتني، بادرت فور خروجي من "فيلا السويسي" الى الاتصال بالشهيد المهدي بنبركة لأؤكد له أن مفهوم الحزب للحكم لا يمكن أن يتماشى في يوم من الأيام مع مفهوم القصر، اذا كان الحسن يعبر حقا عن نفس المفهوم لدى محمد الخامس. وانما خلقت الفعاليات، بدأت أسترجع كلام الحسن الثاني الحديث، مثل قوله: ان الاحزاب كوسائط بين الملك والشعب غير مقبولة من طرف الشعب نفسه. وقد حاولت مع والدي لمواجهة بهذه الحقيقة، وأن يأخذ الامير سيهانوك كمثال حيث يحكم مع الشعب مباشرة. كما تساءل ملتفتا الى وزير دفاعه أكديرة: هل تعتقد أن الشعب المغربي يقبل بتجريده المطلق من سلطاتهاء أو حتى جزء منها لفائدة الاحزاب على قرار المملكة البرلمانية؟ ثم قال مجيبا بنفسه على سؤاله: انني حاولت اقناع أبي بعدم سلوك هذا الطريق الذي يعني ضياع الملك، وانني أحذره باستمرار الجري وراء الاوهام. بل بالعكس لولا الملكية التي توالت حماية الاحزاب لرجمها الشعب بالحجارة. ثم بدأ يسخر خلال استعراضه لاسماء عائلية داخل الحزب مثل القلوس وبنبركة معلقا: المهم ليس فيها اسم واحد أخذ اسم البار أو النسر، فكلها دواجن. هكذا تكاملت عقليته ومفهومه...

وعندما اعترضت على اسناد رئاسة الأركان للحسن، لان ذلك يخالف الاتجاه نحو الملكية الدستورية، كان الرد على تخوفاتي بأن العهد الذي تعهده بالحكم في الاقتصاد ولا فيه للجيش فيه. ويمكن القول ان هذا المفهوم كان سائدا داخل الحزب وعند أغلب القيادات الحزبية، بينما كان محمد الخامس يرى عكس ذلك.

لا أدعي أنني كنت أملك نظرية متكاملة في تلك الفترة، وانما كانت مواقفي ناتجة عن ردود فعل غريزية أكثر منها عقلانية تعتمد على نظرية ايديولوجية، وكان ذلك قاسما مشتركا لكل القيادات، أو على الاصح أغلبيتها. الا أن ذلك لا ينطبق على الحسن لانه كان في الحقيقة عملا لقوات أجنبية تخطط للتصدي البعيد لي يصبح المغرب نموذجا للاستعمار الجديد. وتم تدارك هذه الحقيقة الا في سنة ١٩٦٠، بعد انعقاد مؤتمر تونس الذي شارك فيه المهدي بنبركة والاستاذ عبد الهادي بوطالب عن الاتحاد الوطني، حيث انتهى المؤتمر الى اعلانه صيغة تحدد فيها المغرب من خلال الملاحظات والمقارنة بأوضاع أخرى في العالم الثالث، وتم التحذير على الخصوص من الاستعمار الجديد، ولا شك أن الشهيد المهدي بنبركة لعب دورا أساسيا

للوصول الى ذلك الخلاصة.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت أدعى تطورات عن الطريق الذي نسلكه، ونتم الخط فط هذه التطورات التي لعبت دورا في مواقفي ضد الملكية بصفة عامة، وضد ولاية العهد بشكل خاص، ولكن واضحا أن القاعة المجلس الاستشاري لا تعني سوى مبايعة الحسن وليا لعهده، وأن المجلس لن يستمر كتجربة ديموقراطية لتتطور نحو الديموقراطية الحقة. ولا تقل مبايعة الحسن خطورة عن تعهيده رئيسا للاركان. ولا شك أن موقفي هذا من الحسن تسرب الى القصر الذي طلب مني، بواسطة الفزازي مدير الامن، الالتحاق بالرباط. وعند وصولي أخبرت هذا الاخير بوجودي بالرباط، ثم اتصلت هاتفيا "بالدا" في بيته. وهذا أخبرني بعدم رضاء لموقفي من ولاية العهد، خاصة وانه يعتبرني أخا للامير الحسن، وأن فضلي على رجوع العائلة الملكية الى المغرب لا ينكر، ثم التوج علي الذهاب الى القصر. وهكذا كان. وعند سماع محمد الخامس لرأيي في البيعة بوضوح، طلب من الفزازي تحضير مقابلة مع ولي العهد لاعارضه رأيي باعتباره أخا لي (أما قال محمد الخامس). ولا أريد التدخول في تفاصيل المقابلة، ولا في المحاولة التي عوصل بها الفزازي عندما ضرب به المثل كنموذج لا يمكن الا أن يحط من كرامة الامراء أو حاشيته، وباختصار فقد بدا من جديد يتدرج لي تطريقه في الحكم والاحزاب والشعب والملكية، ثم قال لي: سنعرف بعد فوات الاوان أننا في حياة غير متناسبة اخلاقا مع تقاليدنا وتجربتنا، وماضينا، كذلك". ثم استمر في استعراض الاشخاص القياديين واحدا واحدا بشكل كاريكاتوري.

المهم الذي صمت على عدم المشاركة في المسرحية، وابلغت الحزب برأيي، وكان بين الصوتين من ناقشني في الرأي وكان "الله غالب". ومنهم من لامني على حذفي على الباب ما كان ينبغي لي سوى أن أقدم الفرصة التي لم تتح ربما لواحد غيري لاكون أحد أعضاء ان لم أكن أميرها. وقد طلب مني المرحوم ادريس المهيدي، تطويق عناصر "السو" بالحاشية الملكية بالدام بعض عناصر المقاومة في الحاشية لجعل الاخ عبد الرحمن اليوسفي مديرا لديوان ولي العهد.

التي أرى من المفيد ذكر بعض الوقائع التي تساعد في فهم سياسة القصر وعقليته ومفاهيمه التي لا زالت تتحرك أوهاما عند بعض الاخوة. في حين كنا نعد فيه العدة لتحرير الصحراء حمل "سو" تفاهم بيننا وبين الاستاذ علال الفاسي، حيث غير الكثير من مواقفه قياسا بالاتفاق الذي تم بيننا في مدينة طنجة، ذلك انه أدرك الحاجة من أجل توفر كل الشروط الضرورية لقيام منتاج صحي يضمن الدعم والمساندة لجيش التحرير كان من الضروري الالمة جميعيا للقدماء المقاومين الذين لم يعد بوسعهم الاستمرار في المعركة، ولم يكن بوسعنا اقناعهم بأن المقاومة ستوك والخشيار أمام تضخم مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية انذاك خوض معركة التحرير، ولكون أغلب هؤلاء المقاومين ينتمون من التنظيم الحزبي نظرا لمواقف الحزب السابقة. لذا كان من رأينا مضافا على

المقاومة والحزب، أن يقرأ هذه الجمعية الخفي يحظى بثقة المقاومين وعلال الفاسي، فعادتنا المواجهة الذي حضر في هذا الاتجاه، ولكن ذلك لم يصبح في نفس الاستاذ علال الفاسي، حيث أنه لم يقبل بذلك التبريرات.

ومن تلك اللحظة بدا واضحا أن الاستاذ علال أخذ ينظر الينا بحذر كمجموعة داخل الحزب، وتغيرت نظرته السابقة، وقد حاولنا ازالة سو" التفاهم هذا بتأييدنا ومساندتنا لترشيح الاستاذ علال الفاسي لرئاسة الحكومة (نوفمبر ١٩٥٨)، بينما قياديين من الحزب كان المفروض فيهم الحياد نفس المواقف، وقاموا ضد ترشيحه، وكانت هذه الحادثة كفيلة باعادة الثقة بيننا وبين الاستاذ علال، الذي كلف اخيرا لهذه المهمة، حيث ادعى القصر اذ ذاك انه لم يكلف بتأليف أية حكومة، وقد أعلن رحمه الله عن صحة تخوفاتي التي نبهته اليها.. حيث طالبني بمنزل الاستاذ عبد الرحيم بوعبيد، لكن الاحداث والتطورات الخطيرة والتقديرات المختلفة جعلتنا أمام اختيار لا بد من الحسم فيه، ولقد لعبت الطموحات الشخصية ومخططات الحكم دورا في كون اتحاد الاحداث يجري أخر الطبعت الحزب بمظهر المتفرق، وهذا موضوع أخر يحتاج الى تحليل وتبيين السرد والاستطراد في الاحداث.

اجهاض القصر لمحاولات الوحدة على الصعيد المغربي

ومن جهة أخرى حاولنا توفير اسلحة متطورة لجيش التحرير، حيث اتذرنا صفقة من أوروبا ووقع الاتفاق على تحويلها الى بيتا" اللاذقية ليتم بعد ذلك تحويلها الى المغرب عند تأمين طريق منتهى حتى لا يستولي عليها الفرنسيون الذين لا زالوا يسيطرون على المغرب، وكانت الصفقة من نصيب الاخوة الجزائريين باتفاق مع الحكومة السورية (ديسمبر ١٩٥٧)، وكانت مناسبة كذلك لتنسيق العمل المقاومة أولى على طريق اعادة النضال الموحد الذي أجهض بمبادرة من الفرنسيين، وبذلك نستعيد ربط منطقات النضال التي تجعل من جيش التحرير ومن الأراضي المغربية قاعدة ومنطلقا لعمليات الثوار الجزائريين، ومراجعة أخرى يوجه المخططات الاستعمارية التي كانت تعد مخططا باعتبار كل من المغرب وتونس استقلاليهما، والانفراد بالجزائر لكي تسحق ثورتها. أكدنا في القاهرة للاخوة الجزائريين عبد الحفيظ بوصوف، الاخضر بن طوبال، عبد الحميد المهري، ومحمد بوزيد على فتح معارك في الصحراء ضد الاستعمار الفرنسي، وتجعل منها واجهة مسلحة يمكن توسيع رقعتها حتى يتحقق الجلاء الشامل.

وفي القاهرة أيضا التقينا ببعض الشخصيات السوريالية التي اتصلت بالمغرب أثر لقائنا ومن بينهم المرحوم فال ولد عويس أمير قبيلة الترارزة، والذي ولد سيدي باباه، والمختار ولد باه، وشاب من عائلة الامير، وأخر لم أعد أذكر اسمه، حيث أجرينا معهم سلسلة من اللقاءات التعارفا بعدها بالمغرب ليعدوا لقائنا. وليس من الصعب

بحرفا سهيل الى مولاي. والوضع المأساوي الذي تتوبى اليه البعض منهم، وليس من الصعب أيضا معرفة الأسباب أو الأشخاص الذين دأبوا مع الفرنسيين ليس لأغنيائهم وانما لأشياء أخرى لأنه، والتاريخ أصدق شاهد على الأحداث التي مرت بها المنطقة.

بعد رجوعي من المشرق العربي قدمت تقريرا عن الخطوات التي اتخذت ضمن تصوراتنا التي ترى في الحصول على الاستقلال مرحلة في طريق التحرير الشامل، ودعما لاستراتيجية التي تعتمد ربط علاقات النضال من أجل تحرير المغرب العربي ككل، وتوحيده، ضمن الخط العربي الموحد الذي بدأ باستقلاله الإسلامي، وكان دائما سندا ماديا ومعنويا لنا في أوائل الخمسينات، وتوفق هذا الخط فيما يسمى بالأزمة السياسية آنذاك، التي انضم الأخوة: المحجوب بن الصديق، عبد الله ابراهيم، المهدي بنبركة، عبد الرحيم بوعبيد، بوبكر القادري، علال الفاسي، محمد البصري. الا أن التحليل العام للوضع العربي كان اذ ذاك، الشغل الشاغل الى أن الساحة غير ناضجة لخرج اختياراتنا لأسباب من أهمها أن محمد الخامس كان يفترض حتى على دخول المغرب للجامعة العربية بدعوى أن هذه الجامعة أداة في يد عبد الناصر، وكان يرى أن مؤتمر المغرب العربي بطنجة ليس سوى رد فعل للوحدة المصرية السورية، لذا ينبغي رفض القبول بمبادرة العقاد، المهم أن الأقلمية كانت مقتنعة بموضوع "الصحرا" ووحدة المغرب العربي، وأن تنسيق العمل مع المشرق العربي في تجنيب اغضاب القصر النضالي، باعتبار المرحلة الراهنة خطرة أولى لانجاح الظروف لاتخاذ خطوات نحو المشرق، وتطبيقها لذلك بدأنا بالجزائر بينما المؤسسات وشتر قانون الحريات العامة، فتكونت لجنة لصياغة مذكرة ترفع للملك بهذا الشأن، وقد ضمت اللجنة: المحجوب، المهدي، علال الفاسي، ولما حررت المذكرة بالفرنسية ترجمها علال الفاسي مما حول النقاش من المحتوى الى الترجمة باعتبارها غير دقيقة، وأثار مرة أخرى مطامحات المذكرة وامكانياتها على العلاقة مع القصر وعلى الحزب نفسه.

محاولة تدعيم جيش التحرير بعناصر المحاربات

وقع الاتفاق على أن أتوجه الى الجنوب للقيام بجولة في الصحرا لتفقير الموقف، ولم تعترضني أي صعوبة أثناء التنقل مع قادة جيش التحرير، حيث اطلعتهم على الخطوات المنجزة سواء على الصعيد السياسي الداخلي أو على صعيد المغرب العربي وخاصة الجزائر، ولكن موقف القائد الأعلى لجيش التحرير المتأصل بن حمو أثار بعض الإشكالات، فقد التهمني من خلال تجربته داخل الحزب والظروف التي عاشها والتي أشرت اليها سابقا، انتهى الى فقدان الثقة بـ"السياسيين"، ولكن يفضل اخلاصه للقضية أولا، لم يسبب الثقة التي تربطنا جميعا، وخلوط بعض أطر المقاومة وجيش التحرير أمكن القائد بالذهاب معي للابعاد برأيه لمن يسميهم بالسياسيين، والشرط أن يكون نقاشه

مع المهدي بنبركة فقط، وقد أتيح مناقشو جيش التحرير على ضرورة الابتعاد عن حمو بالتضلي عن مفهومه العسكري المجرد لانه يشير الثيرا من الحساسيات لدى الحاذين لنمطوط العسكري الكلاسيكي، حيث كان بن حمو يصر على أن تواري له المراسم العسكرية باعتباره القائد الأعلى (لم تكن له رتبة محددة) على حساب النمطوط النضالي السائد بين أطر المقاومة وجيش التحرير، ولم يخف مولاي تخوفهم من المخابرات التابعة للقصر والمتمركزة بالكثبان برعاية أفقير والدليمي اللذين كانا يحاولان استقطاب بن حمو مستغلين ظاهرة اداء المراسم كنقطة ضعف لديه ليجعلوا منها نقطة الانطلاق بعده. وفيما نحن متجهان نحو "لم لحسن" بالسيارة سألته عن الصلاته بعناصر من الجيش النظامي، وبالذات بمخابرات القصر، فصارحني بأنهم طلبوا منه تسهيل مهمة رئيس القسم الثاني بالجيش، الطيطان التميمي، وطلبوا منه اعطائهم اللباس الخاص بجيش التحرير وشاراته، وتقديم مساعدات لهم للتسرب الى صفوفه، مدعين أن لديهم معلومات مفادها أن نظاما يجري داخل جيش التحرير لتحويله الى جيش جمهوري، وأن الغاية من التسرب هو مراقبة جيش التحرير من الداخل والتأكد من ملاءمته، وأكد لي أنه رفض رفضا قاطعا أن يكون مطية لتجسس عملا: الاستعمار على المقاومين، ثم أضاف قائلا: انني أعرف التميمي جيدا، وان كل الأوساط التي يحملها على صدره استحقها من الفرنسيين مقابل جرائمه التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري (وقد أعدم الجنرال التميمي على يد الشهيد محمد أعبابو في أحداث الصخيرات في ١٠ يوليوز ١٩٧١).

وتكررت محاولات استدراج بن حمو، لكن موقفه لم يتغير. فقد استدعاه مرة الفزازي مدير الأمن الوطني الى بيته بمناسبة سفر محمد الخامس الى الولايات المتحدة الأمريكية، فوجد مولاي حفيظ العلوي (الجنرال حاليا، ووزير القصور الملكية) الذي طلب منه باسم الحسن الثاني تقريرا عن جيش التحرير ليرفعه الى محمد الخامس بأمريكا، وهو ذاهب اليه حاملا ملفات كل القضايا، فرفض بن حمو تسليم تقارير عن المناضلين الى رجل مثل مولاي حفيظ العلوي الذي حطم أجهزة المقاومة عندما كان باشا مدينة سطات في عهد الحماية لأن الذين كانوا يجتمعون الى اذاعة صوت العرب، وان أعماله ما زالت تشهد على خيانته، فكيف يمكن أعطاء أسرار المناضلين لمثل هذا الشخص.

بداية التآمر على "الصحرا" وجيش التحرير

ذات يوم وجه الحسن دعوة الى المهدي بنبركة ولي أنا لتناول الغذاء في منزله بالسويسي، وقد دار الحديث آنذاك حول جيش التحرير والصحرا، فاقترح عليهما السماح لبعض الضباط من الجيش الملكي للالتحاق بجيش التحرير من أجل تأطيره بالخبرة العسكرية النظرية والتكتيك، فتساءلنا عن مدى استعداد الحكم لتحمل مسؤوليته فيما اذا وقع أحد مولاي الضباط بالأسر وأخبرت بهويته الحقيقية، بالاضافة الى أن

كل الضباط الذين جاءوا من الجيش الفرنسي أو الاسباني يعتبرون محاربين، وهم بذلك ضباط فرنسيون أو اسبان. فهل من المعقول أن يطمئن الاسبان اليهم ليحاربوا قيادتهم الفرنسية أو الاسبانية؟ وقدمنا له اقتراحين :

1) أخذ ضباط من جيش التحرير سابقا الموجودين بالجيش الملكي، ونحن على استعداد لاعطاء قائمة بأسمائهم.

2) الاستفادة من معسكرات التدريب لمعرفة أن تعرف التحويلين عن مراكز التدريب هذه.

وقد قبل الحسن بالاقتراحين، واقترح عليهما أحد الضباط وهو الطيب حبيبي (الذي أعدم اثر الهجوم على القصر الملكي بالصخيرات) وكان مسؤولا اذاك عن مركز بن سليمان. وقد فيما بعد تراجع من طرف بعض الضباط بالجيش الملكي الذين قالوا يتطوعون خفية اثناء الليل للقيام بتنظيم عمليات الى جانب جيش التحرير ثم يعودون ليصبحوا في ثكناتهم ومن بينهم الشهيد الطيب العطاري. وقد لعبوا دورا اساسيا في الهجوم على ايفني وتيليوين وباقي المراكز التي سقطت في أيدي جيش التحرير.

وتم استدعاء الضابط حبيبي الى قصر السويسي حيث التقيا به. ولا زلت اتذكر تلك اللحظة التي رأيت فيها حبيبي يقبل يد الحسن من الجبهتين جالسا على ركبتيه، وبداء وقفاء تراجعان.

ان معرفتي بحقيقة مدى الحسن من ارسال عناصر الى جيش التحرير هي التي جعلتني غير متحمس لقبول بعض العناصر قد تكون تابعة للمخابرات القصر، ومع ذلك كانت هناك اتصالات جارية مع الجيش الجيدة التجربة انها كانت مفيدة، خاصة على ساحة القتال. وبالذات في منطقة آيت باعمران، حيث مرّب بعض الضباط الذخيرة التي وفروها من التدريبات العسكرية، بل فروا حتى بعض الاسلحة، وكانت جذور هؤلاء الضباط تنتمي في الغالب الى طبقات دنيا حالت دون ولائهم للجيش الفرنسي ولا غيره، بخلاف من اعترفوا قبل تعويضهم لقيادة مصالح طبقاتهم الاقطاعية وحلفائهم الاستعماريين.

وبالقدر الذي انعكست به نتائج الانتصارات التي حققها جيش التحرير بالمنطقة الشرقي واستعداده لتدعيم العالمي بواسطة التبرعات التي نظمت على الصعيد الوطني كله، انعكست بالمقابل على القصر بالرعب ومحاولة التخلص من الاحراج.

لقد كانت الخطوات التي اتخذها القصر بعد ذلك هي فتح باب التفاوض مع اسبانيا، اذ استدعيت انا وبن حمو من طرف الفرّاوي، ولكن قبل ذهابنا اتصلت بالاخ المهدي بنبركة الذي اخبرني باستدعائه هو أيضا دون معرفة السبب. وبعد وصولنا نحن الثلاثة وجدنا امامنا عبد الكبير الفاسي وبطاقة الطائرة الى مدريد وحقيبة سفر بيده، وعلمنا انه موفد في مهمة للتفاوض مع الاسبانيين، وسيقترح حسب تعليمات

الحسن ان المغرب على استعداد لضمان مصالح اسبانيا فيما يتعلق بالصيد في المياه الاقليمية، وعلى استعداد لعقد صلح عسكري مقابل الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء، وانه على استعداد كذلك لابقاء جميع عمليات جيش التحرير. وعندما لاحظ استنكارنا واستغرابنا لمبادرة غريبة كهذه، حاول تهدئتنا بقوله : ان الاعتقاد السائد على استعداد لتقديم كل التنازلات الممكنة مقابل الحصول على حبة رمل من الصحراء، لان المعاهدات والاتفاقيات يمكن الغاؤها، فاجبنا بعدم القبول بالتساهل في معالجة قضية من أخطر القضايا، ونحن لا نفهم الخداع مثل هذه الاجراءات التي تجعلنا دبلوماسيا دون مستوى قضايانا ودون مستوى قوتنا وهي في اوجها، وذكرت له انني قابلت مع الاخ عبد الرحمن اليوسفي بدار عباس الفاسي بمعية الرائد الاسباني "لاساس" الحاكم العسكري لايفني قبل أن تكون قواتنا في وضعها الحالي، وقبل أن تتمكن من تطويق ايفني (وقد قتل "لاساس" اثناء الحصار وقبل أن طائرته سقطت في البحر) حيث كان يطلب منا فقط عدم تصفية الحامية المغربية الاسبانية واعادتها بالفرنسية، وأن يوافق وضع الجنرال فرانكو بعين الاعتبار الذي يصعب عليه ـ حسب رأي "لاساس" ـ التساهل وعدم التعرض على الاحتفاظ بالاراضي الامبراطورية، وكان يعني بذلك عدم ربط الصحراء وايفني بمدينتي سبتة ومليلية، وكان يريد معرفة مصير الثقافية الصيد البحري، ويبدي تخوفه من امكانية التخلي عن هذه الاراضي تحت الضغط على جزر الكناري والمستعمرات الاسبانية الاخرى. لقد كانت المبادرة اسبانية ونحن في مركز الضعف، ومع ذلك فان الاسبان لم يطلبوا ما تقدموه لهم اليوم على طبق من فضة. واتذكرها في الاخير الى الغاء سفر عبد الكبير الفاسي على أن تطرح الموضوع للنقاش داخل الحزب مع علال الفاسي، وبالتالي مع محمد الخامس.

ومن جهة أخرى اتصل بي بنعثمان حسيبة من قدماء جيش التحرير (عين فيما بعد عميدا للشرطة) ليخبرني بأنه مطالب للوساطة بين جيش التحرير والاسبانيين من أجل اطلاق سراح المعتقلين لدى جيش التحرير، أو على الاقل اخبار أهاليهم بأنهم احياء، وتنظيم البريد بينهم وبين أسرهم. فوافقنا على ذلك، الا اننا تعرضنا لضغوط من أجل اطلاق سراحهم، فتساءلنا عن سبب مبادرة المغرب الرسمي دون أن يكلف الاسبان انفسهم أي عناء. وقد فهمنا ذلك فيما بعد حيث تتابعت الاحداث وبدأ الشروع في التمهيد لاقالة حكومة عبد الله ابراهيم التي طالبت بجلاء القوات الاسبانية تمهيدا للمطالبة بجلاء القوات الفرنسية، وقد كانت الحكومة الاسبانية على استعداد للجلاء الا أن مبعوثا من القصر طلب منها تأجيل الجلاء حتى لا يجد صعوبة في ترحيل الحكومة، فهو عازم على اقالتها خلال الايام القليلة القادمة. وقد تم ذلك فعلا، وتأخرنا الخير في جريدة التحرير بعد اقالة الحكومة.

ولقد قيم الجبهة الوطنية الداخلية عملنا على تكوين فيالا تضم عناصر من جيش التحرير والحزب والحكومة، والتي تقطع الطريق عن أساليب المناورات، مثل

الجانب الرسمي : محمد الخامس، الأمير الحسن، رئيس الحكومة، وزير الداخلية، مدير الأمن، ووزير الاقتصاد، ومن الحزب : علال الفاسي والمهدي بنبركة، ومن جيش التحرير أنا وبنحمو، على أن تعقد هذه الهيأة اجتماعا كل شهر، وإذا دعت الضرورة لأسباب يراها جيش التحرير مهمة، عليها أن تعقد جلسات طارئة. ومع ذلك فإن شباك التآمر على جيش التحرير ظلت مستمرة في تخريبها بترويج الشائعات عن النهب والخطف الذي يقوم به مقاومو جيش التحرير، ولقد عينت جماعات في القيم سوس خصيصا لترويج هذه الإشاعات. وظلت القوات الأساسية في الجيش الملكي التي القيم سوس، وسلمت قيادتها لعناصر المخابرات في الجيش الذين بدأوا، حسب التعليمات الموجهة اليهم، بربط اتصالات مع بعض أطر جيش التحرير لاختراقهم وتسهيل ادخال عناصر أخرى التي صفوف جيش التحرير. كما بدأوا في احتواء الأشخاص الذين يتعامل معهم جيشنا بالقيم سوس لتأمين الحاجيات التموينية. ولقد اشتروا ضمائر بعض هؤلاء، فأصبحوا "أثرياء" بين عشية وضحاها، ويمكن احتواء عددهم بسهولة. ومن الوسائل التي اتبعت لتفكيك وحدة جيش التحرير، في أفراد المتطوعين يترتب عنها داخل الجيش الملكي لضمان استقبالهم مقابل تقديم خدمات "بسيطة". وكمثال على ذلك أذكر الجندي ادريس العلوي الذي حاول اتصال مماثل لا أساس لها، واكتشفت النعية، وظهر مدى تعميم عملاء الاستعمار لإنقاذ أسيادهم، إذ ثبت أن المؤامرة خطط على نطاق واسع، وجي" بالصحافيين ومراسلي وكالات الأنباء" التي القيم سوس لمشاهدة نتائج تلك المؤامرة. وأوهم لهؤلاء بتركيز الكتابة على فكرة واحدة وهي وجود قوتان متصارعتان في المغرب قوتان على الاستخدام : قوة الملك محمد الخامس من جهة، وقوة جيش التحرير من جهة أخرى التي بدأت تهدد عرشه، وبالامكان الرجوع الى تلك الصحف وما كتبته في تلك الفترة، ولن يجد القارئ في ذلك أية كلمة عن المعارك التي خضناها ضد جيش الاستعمار في الصحراء. ومن بين الذين جندهم القصر الملكي لانجاز هذه المهمة محمد أوفقير والدليمي.

وفي هذه الظروف التآمرية على جيش التحرير افتعل القصر حوادث تافيرالت : اغتيار عامل الاقليم المرحوم الشعبية عدي أوبيهي لتنفيذها. كما ساهم فيها المرحوم الحسن اليوسي. وكانت عناصر الحوادث المفتعلة تدور حول اتهام محمد الخامس من خطر حزب الاستقلال. لم تلبث تلك الاحداث أخطر منها وهي مأساة الريف التي راح ضحيتها اخوان أبريا". كل ذلك وغيره الفعل للتآمر على جيش التحرير والمهمة المسلطة على عاتقه، والتي جند الجيش المغربي كله لانجازها، عدا أولئك الذين تتنافى معاملتهم مع مصلحة الجماهير. والكتابات بعد ذلك كل المؤامرة ومصدر خيوطها فانطلقت على مدبريها، وأصبح الجيش المغربي على بينة من كل ذلك.

ولاستدراج سلان الصحراء وتقديمه الى عجلة التآمر تم دعوة بلت دحمان، القائد المستقر بكلميم للسيد حرمة ولد بابانا. فانتهزت هذه المصاهرة الفرصة لزيارات

حرمة ولد بابانا لكلميم حيث يوجد أوفقير والدليمي.

والتاريخ كفيل بفضح كل المخططات الاستعمارية التي كانت تحال مع القصر الملكي ضد جيش التحرير. ولا بأس من ذكر مثل على ذلك : فالمهمة بمحالفة باريس التي كانت تنتظر في قضية الفضائح واغتيال الشهيد المهدي بنبركة، جاء استاد فرنسي للادلاء بشهادته أمام المحكمة. ولقد كان في السابق بكلميم، وهو المستشرق "فالسان مونتاي" الاستاذ المعروف، حيث كشف عن سر اغتيال الضابط الفرنسي "الفيكتان موري" بالصحراء الذي اتهم جيش التحرير بتصفيته، ونظمت حملة صحفية مركزة عليها، مستغلة الصراع بين القصر وجيش التحرير وكانها مسألة داخلية فرنسية تهدد أمنها وتتطلب تدخلها الفوري في المعركة. ولقد أوضح الاستاذ "مونتاي" أثناء المحاكمة أن جيش التحرير لا علاقة له بتصفية الضابط "موري".

وارد الاشارة في هذا المجال الى محاولة اغتيالها أجهزة القصر الملكي بين الضابط بجيش التحرير الشهيد العلارم مبارك مناز الذي قتل بالقرب بالصحراء، وهو من العناصر التي اختيرت في الجيش الملكي لتطويق جيش التحرير، حيث اتصلت أزمة بيته وبين الجنرال المدبوح الذي كان عاملا لاقليم وارزازات. فدعيت لزائيم لتطويق الأزمة ومعرفة أسبابها، وكانت مناسبة أخرى لمعرفة كل ما يحاك في الخفاء ضد تحرير الصحراء. وعندما عرضت "الأزمة" على وزير الداخلية المرحوم ادريس المهدي، علق بقوله : ان هذه الأساليب خطيرة، ولا بد من اطلاع محمد الخامس على الحقيقة كلها حتى يتحمل مسؤوليته كاملة". ولا أدري فيما اذا كان الوزير عاديا في قوله، أم انه كان يمثل دورا مسرحيا أمامنا. المهم أن اقتناعه بالقضية واستهجانه للاسلوب الذي حيكت به كان واضحا.

ومن أخطر هذه الأساليب على الاطلاق مطاردة الاخوة الجزائريين في تحركاتهم وتنقلاتهم باسم جيش التحرير لقطع الطريق على كل عمل من شأنه تقوية وحدة النضال، وبالتالي وحدة المقاتلين الجزائري والمغربي الذي كانت جبهة الصحراء أولى خطواتها. الا أن التآمر الاستعماري الاطلاعي عمل على افشالها، فبمجرد قدوم أية قافلة من الاخوة الجزائريين التحريرات التي تعرضوا لها، اذا يجري الهاتف بين، وكان علي أن أجيب، فاستقبل وزير الداخلية سعيد الشيكر الذي تولى منصب مدير الديوان الملكي بعد رجوع محمد الخامس، استقبل غيابي ليقول للاخوة الجزائريين أن صاحب الجلالة يقع تحت ضغط جيش التحرير المغربي، لذا يجب عليهم دعمه في مواجهته.

ان ما حصل لهم من مضايقات كانت تستهدف في الحقيقة جيش التحرير، الا أن الروابط النضالية الصادقة التي كانت تربطنا بالاخوة الجزائريين جعلتهم يتحدوا ذلك في اليوم التالي وهم على بينة من الهدف الذي يرمي اليه التحكم.

• • •

من الذي يمارس الحكم : حزب الاستقلال أم القصر؟

قررنا بعد تدهور الوضع عقد اجتماع مستعجل . وكان اجتماعا تاريخيا . فبينما نحن في استعراض الموقف الذي بدأ ينذر بالخطر دون أن نحدد المسؤولين عن "التآمر" اذا بالاخ بنحمو يقتحم داخل الجلسة ويواجه الامير الحسن، ثم يفتح كل ملفاته التي عرضها عليه لتصفية جيش التحرير وبالتالي قضية الصحراء . فبدأ محمد الخامس يهدئ من انفعاله قائلا له : لا واه، لا واه السي بن حمو، اذا اخطأ "سيدي سيدنا" فعليها أن تعالج الامور بالتي هي أحسن . ("سيدي سيدنا هو الاسم الذي ينادي به الامير الحسن داخل القصر تبعا للعادة الجارية لما سمي على اسم الحسن الاول جد محمد الخامس) .

ولم نكن ننتظر من الاجتماع الخروج بنتائج محققة ولكن كان هدفنا هو كشف عمالة الحسن وتآمره على القضية الوطنية وعلى الثورة الجزائرية، ولم يكن الامر يتعلق بخطأ شخصي من الاشخاص، وانما كان الامر يتعلق بصراع لا يمكن أن ينتهي الا بزوال احد الطرفين . وهكذا خرجنا من هذا الاجتماع الحاري" بعد أن ختمه بن حمو بكلمة قصيرة توجهها الى الحسن قائلا فيها : حاولت أن اجعل مني مطية تحمل عليها خوانك في الجيش والمخابرات . وارائيهم انا لمناضلي جيش التحرير . احملت لك بالهالي التي لن العب هذا الدور مهما كانت الظروف . ولي نفس الليلة سألني المحمدي عن الكلمة حضوري الى بيت عبد الحميد الزموري داخل القيم الدار البيضاء . فأبديت استعدادي، وكان الموضوع يتعلق بخطورة كلام بن حمو الذي قيل في الاجتماع السابق الذكر، ذلك الكلام الذي لم يكن ليجرؤ على التفوه به لو لم أوعز له بذلك ـ حسب رأي المحمدي ـ لذا كان رأيه بعد لقائنا أن نتفقدي نحن الثلاثة مع الامير الحسن يوم الجمعة، وتم ذلك بالفعل، فتوجه الي الحسن قائلا : انني حائر في امرك، فضلتك على العرش وعلى البلاد، وتضحيتك لا يقدران، ولكن ذلك في الوقت الذي لم تعرف فيه المهدي بنبركة، وما يدعو للاستغراب هو أن تصبح تحت تأثير مثل هذا الشخص الذي لو عرفت ما يضمره من شر للاسرة العالكة، لكان لزاما عليك للعرش أن تصفيه، ولقاتلته بضراوة كما قاتلت بها الاستعمار بالامس . فأجبته أن ما أعرفه عنه انه أستاذك، وأنا عاجز عن فهم ما يحدث الان، وما علمناه في الحزب أنك منظم في احدى خلاياه . فقال : ان ذلك غير صحيح اطلاقا، والذي حصل هو أن حزب الاستقلال كان يستغل ذلك لتوسيع جماهيريته، ولكي أبرهن لك على عدم صحة ذلك، اقول لك ان أبي اختار عدة أساتذة من كل الاحزاب : بوطالب من حزب الشورى، الزجراجي من الاحرار المستقلين، وبنبركة من حزب الاستقلال بالرباط، ومحمد الفاسي من استقلال علال الفاسي . ثم اضاف قائلا : يتبقى ان تمر على القيادة العليا للجيش لاوريك هويات أعضاء حزب الاستقلال من الذين انخرطوا في الجيش، وبالذات من العاملين وجيش التحرير، سلموها الي عن طواعية

عندما اكتشفوا الزيف الذي لا زالت اضباعه رغم أن مسلوك لا يقاس بمستوى ارتداء الجنود والضباط الذين هم رفاقك . ثم اختتم الفرصة ليخرج لي، أو على الاصح ليخرج أمامي كل الشخصيات القيادية بالحركة الوطنية وخصوصا حزب الاستقلال والنقابة . واختتم كلامه بالقول : ان مثل هؤلاء الاشخاص لا يزعجونني، ولكن من يزعجني هم أولئك الذين لا زالت العمالية لم تروضهم، ولا زالوا على استعداد لافتراش الارض من جديد وركوب الاخطار، فسيان عندهم ركوب البغال أم ركوب السيارات . وسوا سكنوا "الفيلات" اليوم أو انتقلوا الى الخيمة غدا، فعلي أن أحسب لمثل هؤلاء الف حساب . وهكذا خرجنا من اللقاء بضرورة تنظيم لقاءات دورية أخرى بيننا نحن الثلاثة .

وبعد مغادرتي الرباط اتصلت بابن عمو لاخبره بالاثر الذي ترك كلامه في نفس الحسن، وبالاجتماع المستعجل بدار الفراوي، واقترح علي الذهاب في الليلة التالية الى الرباط لزيارة المناضل الجوريداني المرحوم فال ولد عومير لانه في حالة نفسية سيئة يرثى لها بسبب التلاعب بالقضية المقدسة : تحرير الصحراء وجوريدانيا .

والقاء الزيارة حضر معنا كل الاخوة الثلاثيين الجوريدانيين باستثناء اثنين هما : حرمة ولد بابانا والداي ولد سيدي بابا، فتناول المرحوم فال ولد عومير الحديث عاديا ومنفعلا في نفس الوقت ليهيء على مسامعنا ما عرض عليهم من خطط تتنافى كليا مع الغاية التي قدموا من أجلها للمغرب، وأوصى كلها لتمكينهم الحرائرة لاعطاء المشروعية للمخططات التآمرية التي تعد في الخفاء، والسيد حرمة عالج فيها وهو يتكلم باسم الجميع، وليست لهم أية وسيلة لاستنكار ما يجري باسمهم لان المراجع العليا ـ حسب قوله ـ تستند الموقف عاما . ولم يصل الى ذلك استنتاجيا، وانما معاينة مباشرة للامور جعلته يقتنع بأن الترتيبات تعد بجد لتصفية قضية التحرير التي من أجلها غادروا بلادهم . واختتم كلامه بقوله : يجري الان تحضير لما يسمى بمؤتمر الصحراويين بالرباط خلال الاسابيع المقبلة ودعم مطالبون بدعمه، وهو ليس الا وسيلة لاعطاء المشروعية للاعمال التخريبية، وأن الذين سيحضرونه من كلميم هو القائد دحمان وصهره حرمة يدافع من المخابرات المغربية بكلميم، ويحاول حرمة جر خلال القاسمي لذاكية المؤتمر، ونحن لا نستطيع أن نقول أي شيء، وكلما حاولنا الاتصال بشخص الا ونجد حرمة معنا لم يقول الكلام باسمنا، وقد عمدت ذلك مرارا بمراكز حزب الاستقلال . وكان رأي الاخ بن حمو هو أن نطرح الموضوع في الاجتماع الذي سيحضره محمد الخامس وابنه الحسن وعلال الفاسي، فأيد فال ولد عومير ذلك . وهكذا تم الاتفاق على معالجة الامور بالطريقة التي قد تقطع الدسائس .

وفي الاجتماع طرح الموضوع كما رواه فال ولد عومير دون ذكر اسمه، وانتهينا الى أن هذا مجرد اجتماع لاناس لن يقرروا أي شيء، ولكن علينا أن نسمع وجهة نظرهم . وانما انكشفت خيوط المؤامرة وخطورتها، ثم الوحي لضحايا التلمية بعدم الثقة

اي موضوع .

وكان من الضروري أن نذهب مرة أخرى الى الجنوب لنرى المقاتل عن كثب، وعقدنا عدة جلسات عمل مع الاخوة المسؤولين هناك، واطلعناهم في نفس الوقت على ما يحاك ضد قضية الصحراء ليتخذوا الاحتياطات اللازمة. لقد كانوا يجمعون بين الحزم والمرونة رغم تراكم المشاكل الاجتماعية لقبائل الصحراء عليهم، الشيء الذي استنزف الكثير من طاقاتهم، وكانت علامات التعب والاعياء ظاهرة على وجوههم بسبب قلة الراحة والعمل المتواصل . فعوض أن تصرف كل طاقاتهم في العمل العسكري والسياسي لتدعيم الاختيار، كان عليهم كذلك صرف اكبر الجهود للتصدي لمثل هذه المؤامرات . وفي هذه الاثناء نظموا عملية بئر موكرين التي هزت الجيش الاستعماري بالصحراء كلها، فسربت المخابرات المغربية الخبر الى الفرات الفرنسية، ونسب تنظيم العملية اليها . والحقيقة أن توقيت العملية مع حضورنا كان صدفة، وبسبب ذلك كانت ستتعرض سيارتنا ونحن في طريقنا من كلميمين الى بوزكارن ثم تيزنيت، الى عملية قصف بواسطة طائرة عسكرية، لو لم تغير الثلاث السفر السيارة التي ركبناها من كلميمين . ولا أعلم لحد الآن هل توافرت المعلومات عند الاخوة المسؤولين في جيش التحرير بتنظيم عملية القصف نعم جعلتهم يلزمون بتغيير السيارة أم أنهم قاموا بذلك احتياطا. ومهما يكن، ركبنا سيارة أخرى في بوزكارن، وما كدنا نصل قبيلة لخصاص حتى بدأت الطائرة العسكرية تحلق فوق رؤوسنا، وتقترب منا وكان أزيزها يميز السيارة الوحيدة بالطريق . وحسب معلومات القائد المتواجد بكلميمين، وهو من المقاومين المخلصين، انذا كنا مستهدفين فعلا من الجيش الفرنسي كانتقام لعملية بئر موكرين، وأن معلومات دقيقة أعطيت عن لون السيارة ورقمها، وأن تغيير السيارة هو الذي انقذ العملية .

بدأ جيش التحرير يعاني من المشاكل الداخلية الاجتماعية وقلة الذخيرة بسبب تشاط المتوابد، وبسبب قلة في تصرفات بعض الضباط الذين التحقوا بصفوفه مثل صلال الشلياقي الذي اخضعوه لمراقبة مراقبة شديدة، وكذلك شخص آخر يدعى عباس من المطاريد، انتقل بمينا" الدار البيضاء" ثم ترك عمله ليلتحق بصفوف جيش التحرير لكنطوع مع أن وضعه العائلي لا يسمح له بذلك .

وفي احدى الاجتماعات قدمنا مطالب اخواننا في جيش التحرير بعد أن قدمنا تقريرا عن وضعه وسير عملياته العسكرية وعن الوضع السياسي في الصحراء والجنوب، فأقرت تلك المطالب، واتفقنا على رفع مذكرة بواسطة بن حمو الى وزير الدفاع أحمد الميزيدي الذي ظل يماطل ويتنصل من تنفيذ ما طلب منه، فاستدعيناه لحضور اجتماع بدار المهدي بشبرقة، وهنا اعتذر، وقال انه من الخطأ اطالة الموضوع عليه، لانه لا يستطيع تنفيذ ما طلب منه، بينما رئيس الأركان الحسن يحضر الاجتماع معكم وهو المنفذ والمقرر، أما الوزير فلا يستطيع اتخاذ قرار حتى في المسائل الادارية بالجيش . وهذه هي الحقيقة ـ حسب قول أحمد الميزيدي ـ وهو مجرد صورة، وأن قبوله بالوزارة

كان ضمن قبول الحزب ببعض الوضعية التي تجعل من كل وزير علاقته بالسلطة الفعلية مجرد صورة، مثل وزارة الداخلية، فهل يمكن القول أن السلطة كانت في يد مسعود الشياكر أو المحمدي اللذين تولتا وزارة الداخلية، وكل منهما ينتسب الى حزب الاستقلال ؟ وهكذا بدأت الحقيقة تتضح للكثيرين، وبدأ السؤال يطرح نفسه وبالحاح : من الذي يحكم البلاد : الملك أم حزب الاستقلال ؟

نظريا، في الداخل والخارج، يعتقد أن الحزب هو الذي يحكم، ولكن عمليا القصر هو الذي يسيطر على مقاليد الأمور، ومن الطبيعي أن تبقى المذكرة التي رفعها بن حمو بين أدراج وزارة الدفاع حتى مجيء حكومة عبد الله ابراهيم التي كانت في بدورها عاجزة عن تنفيذ متطلبات جيش التحرير بالصحراء .

لقد كانت الغاية من اعتقالي انا وعبد الرحمن اليوسفي في تصفية جيش التحرير، وذلك ما تم فعلا بعد خمسة أشهر من ادخالنا السجن، وتوجت العملية باقالة حكومة عبد الله ابراهيم مباشرة .

(القصة في العدد المقبل)

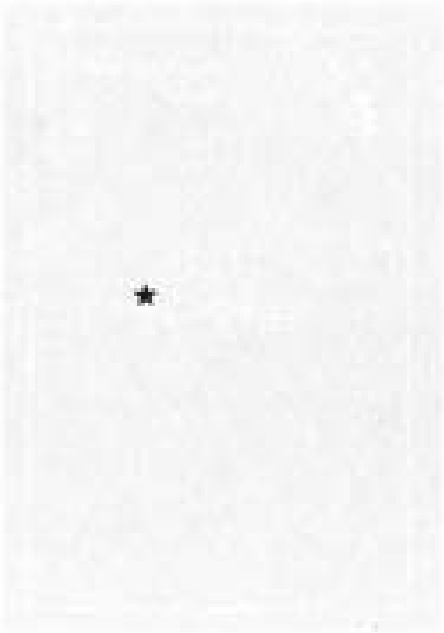

من مطبوعات
"الاختيار الثوري"

مشروع أرضية توجيهية .

وجهة نظر في القضايا
الايديولوجية و الاستراتيجية
و التنظيمية ، على الصعيدين
الوطني و القومي .

ـ من أجل تقديم
الفكر الثوري في المغرب ـ

الصحراء المغربية ومسألة تقرير مصير الشعوب

في اطار النقاش الايديولوجي الدائر في الساحة المغربية، هناك في وجهة نظرنا ، طرحان خاطئان للمسألة الايديولوجية في كليتها : الاول يركز على خصوصيات الواقع المغربي كنتاج لتطور تاريخي معين، ليجعل منها مبررا كافيا لنبذ النظرية الثورية باسم الاشتراكية العلمية و"التحليل الملموس للواقع الملموس" ، اما الثاني فيستغل التبسيط ويختصر كل المسافات في ان هناك نظرية جاهزة تتلخص في "الماركسية اللينينية" قد اجابت على كل شيء ، ولم يبق سوى تطبيق ما هو نظري جاهز على الحالة المغربية المشخصة .

واذا كنا قد تعرضنا غير ما مرة للانحرافات والمغالطات التي يؤدي اليها الطرح الاول ، فاننا نريد هنا التعرض للطرح الثاني ، مع اننا لا ننوي الاجابة على الاشكالات التي يطرحها هذا الاتجاه ، اذ اننا نطرح المسألة الايديولوجية بكاملها ، وهذه الاخيرة ، لا يتم الجواب عليها او معالجتها من خلال مقال او حتى سلسلة مقالات ، بل هي بالاساس جهد نظري متواصل وواسع المجال ، وممارسة عملية مطابقة له في نفس الوقت ، سنكتفي اذن بطرح جملة من الملاحظات قد تلقي بعض الاضواء على المسألة :

الجانب التكتيكي

ان اختصار المسألة الايديولوجية في رفع شعار "الماركسية اللينينية" هو اختصار اقل ما يقال عنه انه تبسيطي وضيق الافق . فهذا التعبير : "الماركسية اللينينية" ظهر تاريخيا للوجود خلال عهد ستالين ، بيد انه لو سئل المعنيان بالامر (ماركس ولينين) عن رأيهما بهذه الصيغة المختصرة والمختصرة ، لرفضاها بالاستناد على الاقل على جانبها الشكلي . فهما اللذان رفضا باستمرار اختيار التحليل الاقتراحي العلمي لعمليا

جامدا، صالحا لكل زمان ومكان، فبالاحرى ان يطبق بتشنجيه.

ان تطور الافكار الاشتراكية لم يبدأ عند ماركس وانجلس، كما انه لم يقف ولم ينته عندهما، بل انه استمر في عملية تطور دائما، استفادة من تجارب الشعوب ومكتسباتها على المستويين النظري والعملي، ثم ان هذا الاختصار التبسيطي على مستوى الشكل في الطرح الايديولوجي، يقودنا الى التنازل على المضمون نفسه والتخوف من استنتاج الخلاصات والمقولات والتحليلات التي كانت صالحة لاوروبا (أو الصين) في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، محاولة فرض قياسها على واقع مغاير مختلف: الواقع المغربي تحديدا. وهنا نريد الاشارة الى الملاحظات الاساسية التالية:

أولا: ان أوروبا في ذلك العهد، عالجت قوانين أساسيتين مترابطتين: الثورة الصناعية من جهة، والثورة الثقافية من جهة ثانية، وقد أعطتا مجتمعا أولا لتنامي الطبقة البورجوازية الطالعة انذاك ضد النظام الاقطاعي ونموها بشكل موازي لتنامي نقيضها: الطبقة العاملة، والثانية مهدت لبروز الفكر الاشتراكي في ارهاصاته المبكرة، ثم في شكله العلمي الحديث. وغني عن القول ان بلدنا، شانه شان ما يسمى حاليا ببلدان "العالم الثالث" لم يعرف عاملين الثورتين والتطور الذاتي والموضوعي الناتج عنهما لاسباب تاريخية معينة ـ لا يتسع المجال هنا للتعرض اليها ـ وبالتالي فان التدخل الاستعماري كان هو العامل الاساسي غير المباشر في نشوء الطبقة العاملة المغربية، وتطور الطبقة الاقطاعية ايضا. مع العلم اننا لم نعان كذلك لا الثورات البورجوازية التي عهدتها أوروبا ضد النظام الاقطاعي، ولا توافد انماط الانتاج (البدائي، العبودي، الاقطاعي، البورجوازي) بشكل يطابق انماط الانتاج الاوروبية، وما تضمنته من علاقات انتاجية واجتماعية وسياسية وايديولوجية مقننة ومحددة.

ثانيا: اذا كان لينين قد تعرض لظاهرة الامبريالية (كأرقى مراحل الرأسمالية) والاستعمار ـ خلافا لماركس الذي لم يكن بامكانه التعرض اليها لانها لم توجد خلال عصره ولم يكن بامكانه التنبؤ بها ـ فان ماركسيين ظاهريين قد عرفوا تطورات كمية وحتى نوعية لم يكن بامكان لينين ادراكها لانه لم يعشها ايضا. فالتمركز الرأسمالي العالمي بلغ حاليا درجة لم يكن عشيها ابدا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الشيء الذي له بالغ تأثيره انعكاساته السياسية والاستراتيجية، وبالضرورة النظرية. اما ظاهرة الاستعمار، فلقد خلقت واقعا جديدا داخل المستعمرات تحديدا، كما ان تحوله الى استعمار جديد، والاساليب التي ابتدعها لهذا الغرض، قد انتجا تغيرات وتطورات لا مناص من اخذها بعين الاعتبار ودمجها ضمن التحليل العلمي الدقيق.

ثالثا: وضمن هذه المتغيرات، نشير الى المفارقة الملحوظة فيما بين حركة "السوسيال ـ ديموقراط" التي قامت على أسس ثورية طبقية في أوروبا، اي من اجل مواجهة الحكم القائم، بورجوازيا فان ام اقطاعيا ـ بورجوازيا، كما قام على اثره العمال

بالنسبة لروسيا القيصرية ـ وداخل حركة "السوسيال ـ ديموقراط" الاوروبية عند، تم الفرز فيما بين الثوريين والاصلاحيين. اما بالنسبة لمطالبتها حركات التحرير في مصرنا الراهن، وبالنسبة للمستعمرات وشبه المستعمرات، فلقد قامت بالاساس في اطار وطني، اي لوضع حد للقواعد الاستعمارية. ولقد ترتب عن ذلك مضاعفات نظرية وعملية صبة بالنسبة لقيام الحزب الثوري المستقل: منها اساسا ان هذه الحركة ضمت جبهة وطنية واسعة، ضمت العمال والفلاحين والبورجوازيين الصغار وأيضا البورجوازيين بل وحتى بعض الاقطاعيين، والنتيجة المباشرة لذلك، هي أن الفرز لا يمكنه ان يتم بشكل آلي، بل انه يمر حتما بمرحلة أطول وأكثر تعقيدا، وصولا الى عدد بناء الحزب الثوري الطلائعي الذي لا يزال مطروحا المهمة مستمرة في التطور بالنسبة للمغرب مثلا...

رابعا: ولا أحد يمكنه أن ينكر الدور الذي لعبه الدين الاسلامي في مجتمعاتنا والذي لا علاقة له بالدور الذي لعبته الكنيسة في عهد ماركس ولينين. هذه المسألة لها علاقة مباشرة بواقعنا العربي وما يطرحه من شعارات ومهام قومية ووحدوية لتحرير آثار التجزئة والتقسيم والتبعية، تلك المهام التي لا تتناقض في شيء مع مهام الثورة الوطنية الاشتراكية في كل قطر على حدة، بل تكملها وتبادل التأثير معها، كما انهما معا يتبادلان التأثير مع مهام مناهضة الامبريالية دوليا وتوطيد تحالف القادمين غير المنحاز.

• • •

قد يطول بنا السرد لتحليل هذه المفارقات، والتي تطرح على الثوريين ليس استنساخ الشعارات والمقولات، ولكن الاجتهاد في تطبيق المطابيس والمنهج العلمي على واقع متغير حتما، وليتكفي اذن بالتذكير بأن الاشتراكية علم، وكأي علم آخر، فانها في تطور دائم، وهي تستلزم بالتالي الاجتهاد الدائم، والفرض النسبية عند التطبيق بناء على المتغيرات العينية لكل مسألة مسألة. بيد أن هذا لا يمكنه بأي حال من الاحوال ان يشكل مبررا للانزلاق في التحريفية باسم الخصوصيات المحلية، أو السقوط في الانتقائية.

ان التسلح بالنظرية الثورية ومكتسباتها غير المحدود، مع البحث والتمعن في التطور التاريخي العيني وما أنتجه من تراث حي، من أجل ايجاد "التحليل الملموس للواقع الملموس" ـ بالمفهوم الثوري للكلمة ـ لهو في نظرنا المنهج الوحيد الذي يجب أن يتبعه كل الذين يؤمنون بالاشتراكية العلمية، وليس "اللجوء" الى المقولات الخالية والتبسيطية، أو رفع الشعارات "الثورية" التي لا تتناسب والواقع الموضوعي الذي يجهله تماما، فضلا على تعارضها مع أوضاعه الذاتية وأهدافه وطموحاته. وللمغرب مثلا

حيا على ذلك بشعار تقرير المصير الذي ترفعه بعض الجهات بالنسبة للصحراء المغربية، وذلك باسم الانتماء "للماركسية اللينينية" ...

تقرير مصير الشعوب... وليس الانفصاليين

وحتى ندرك خطورة النقل الميكانيكي للمقولات والشعارات مع فصلها عن طرقها التاريخي والوطني، نعطي الكلمة للينين نفسه:

"ان حق الدول في تقرير مصيرها يعني تحديدا الحق في الاستقلال السياسي عن الدولة المضطهدة (بكسر الهاء)، ومن الناحية العملية، فان هذا المطلب المتعلق بالديموقراطية السياسية، يعني حرية الدعاية للاستقلال، وحل هذه المسألة عن طريق الاستفتاء داخل الدولة التي تريد استقلالها. وهذا المطلب لا يعني بتاتا الانفصال والتجزئة وتكوين الدويلات، انه فقط التعبير المنطقي للنضال ضد أي اضطهاد وطني (...)".

"ان هدف الاشتراكية ليس فقط وضع حد لتجزئة الانسانية داخل الدويلات، ولكل نزعة خصوصية عند الامم، ليس فقط التقريب بين الامم، لكن تحقيق اندماجها" (لينين: حول القضايا الوطنية والكولونيالية ـ ثلاث تعاريف مختارة ـ المنشورات باللغات الاجنبية ـ بيكين ـ ١٩٧٠ ـ ص ٥ ـ ٦).

ان هذه التعاريف الدقيقة للعلم، توضح لنا بكل جلاء الطرف التاريخي الذي طرح فيه شعار تقرير المصير، كشعار لتعبئة الشعوب من اجل النضال ضد الاستعمار والاضطهاد، ونستند في هذا على ملاحظتين اساسيتين:

أولا: ان هذا الشعار يطرحه لينين بالنسبة لشعوب الدول القائمة الذات والتي تعرضت للاحتلال والاضطهاد من طرف الدول الكبرى والامبراطوريات. وهذا ما يزيده في توضيحه عندما يضرب لنا بعض الامثلة الحية بحق فينلندة وبولونيا والاوكرين في الاستقلال، ويتهم "الاشتراكيين الروس" الذين لا يطالبون بذلك بـ"الشوفينية" والعمالة للطبقيات الامبريالية والبورجوازيات الامبريالية" (نفس المصدر ـ ص ١٩)، او عندما يطرح مسألة الشعوب والامم غير الروسية التي ضمها النظام القيصري لامبراطوريته وتعداد سكانها يداعز العامة ملايين نسمة آنذاك، ويقول ان: "الاعتراف بحق الامم المضطهدة من طرف النظام القيصري في الاستقلال عنه، يجب ان يكون امرا اجباريا بالنسبة لكل الديموقراطيين الاشتراكيين، بحكم طبيعة اهدافهم الديموقراطية والاشتراكية" (نفس المصدر ـ ص ١٧).

فالامر يتعلق اذن بالدول التي قامت الامبراطوريات بضمها قهرا وعملت على اضطهاد شعوبها واستقلالها.

ثانيا: ان لينين يضع في تعارض حاسم مبدأ تقرير مصير الشعوب مع "الانفصال

والتجزئة وتكوين الدويلات" حسب تعبيره، ويبرز في نفس الوقت الابعاد الوحدوية والانسانية للاشتراكية والتي تتجاوز الانانيات والنزعات الاقليمية الشوفينية... وهذا ما يعطي لشعار تقرير مصير الشعوب ابعاده النضالية والسياسية كشعار لتعبئة الشعوب المضطهدة من اجل القضاء على الاستعمار وتحقيق استقلالها الوطني، وفي نفس الوقت تجنيد الاشتراكيين الديموقراطيين في البلد المستعمر (بكسر الميم) لدعم هذا المطلب والنضال من اجله من "داخل" هذه البلدان...

لنعد الان لمسألة الصحراء المغربية لنطرح على انفسنا هذا السؤال البالغ الاهمية النظرية والعملية في آن واحد: هل كانت هناك دولة في الصحراء عملت "الامبريالية المغربية" على ضمها واضطهاد شعبها؟

الجواب لا يمكن ان يكون الا بالنفي القاطع، الاكثر من ذلك: لا يمكن لاحد يدانا ان يخلق لغرات في التاريخ القديم والحديث، ويقول ان الصحراء انفصلت يوما ما عن المغرب، اذ ان كل السلالات والحركات التي اقامت حكما مركزيا بالمغرب قد انطلقت من قلب الصحراء. وحتى ما اذا كان هذا الجانب التاريخي الاكاديمي لا يهمنا كثيرا، فلننظر لتاريخ جماهيرنا الشعبية المغربية، فمن هذه الناحية هل بامكان احد ان ينزع من التاريخ صفحة كفاح حركة ما" الغيثين والهيبة التي انطلقت من الصحراء وأيدت القبائل والمستعمرين عساكر فادحة، وأعلنتها ثورة ضد السلطة المركزية، واعلنت مدينة مراكش عاصمة لها، ثم استمرت في الكفاح الى ان اوقفتها قوات الجيش الفرنسي الاستعمارية الزاحفة على ترابنا الوطني في معركة ابن جرير غير المتكافئة العدد والامكانيات... وهل يمكن انزع صفحات الكفاح البطولي الذي خاضه جيش التحرير المغربي بالامس القريب، والذي امتزجت فيه دماء الشعب المغربي، صحراويين كانوا ام من وسط المغرب وشماله، هذا الكفاح العربر الذي سجل انتصارات باهرة جعلت مسألة تحرير كامل الصحراء مسألة محققة، لولا تكالب قوى الاستعمارين الاسباني والفرنسي والنظام المغربي ضمن المؤامرة العسكرية المعروفة بعملية "ايكوفيون".

للحقيقة والتاريخ اذن، فان الاستعمار وحليفه النظام المغربي هما اللذان عملا على فصل الصحراء المغربية على باقي التراب والشعب المغربيين، والنظام الرجعي هو الذي يواصل مسؤولية خلق الواقع الذي تم صنعه على ارض الصحراء المغربية أزيد من عشرين سنة منغمسة على باقي الوطن، والحالة هذه، فان الرجعية المغربية لم تقم بضم واضطهاد دولة وشعب قائمي الذات، بل ان النظام المغربي (والاستعمار) هو الذي عمل على فصل الصحراء. وهذا ما له أهميته النظرية البالغة لتطبيق شعار تقرير المصير.

وللحقيقة والتاريخ دائما، فان الاستعمار الاسباني كان أول من طرح شعار تقرير المصير بالنسبة للصحراء المغربية عندما كان في نيته تكوين دويلة تابعة له هناك، ثم عاد ليتراجع عن ذلك، ويعمل على تقسيم "غنيمته" الكولونيالية فيما بين حليفيه

المعطيين : الرجعية المغربية والموريتانية، واحتفظ بحصة الأسد فيما يتعلق بالخيرات الطبيعية والمصالح الاساسية بالمنطقة (وهذا التراجع يعود لتطورات داخلية عالجها النظام الديكتاتوري الاسباني في أعقاب موت فرانكو، قد سبق أن تطرقت لها "الاختيار" "الثوري في أعداد سابقة).

يبقى اذن أن من يطرح شعار تقرير المصير بالنسبة للصحراء المغربية باسم "الماركسية اللينينية"، انما يخطئ خطأ نظريا فادحا، ويعمل على الرغم عن مضمونه الذي يطمح لوريثه من الظروف التاريخية والموضوعية التي يجب طرحه فيها، أي ظروف استقلال واضطهاد شعب ودولة قائمي الذات من طرف امبراطورية أو دولة استعمارية كبرى. والأكثر من ذلك، فان رفع هذا الشعار بالنسبة لوضعنا الحاضر انما يؤدي الى العمل على ما اداته ليتبين نفسه بنفسه، أي "الانفصال والتجزئة وتكوين الدويلات". والتعارض مع المبادئ الاشتراكية الوحدوية والانسانية... هذا فضلا عن تجاهل المعطيات التاريخية (بمعنى الشعب المغربي ضد الاستعمار والاقطاعية) والتعارض الواضح مع التعبير الوطني للشعب المغربي وطموحاته في تحقيق وحدته واستقلاله. وبعبارة أخرى تقرير مصيره الذاتي بالمعنى الحقيقي والواسع للكلمة.

هذا بالنسبة للجوانب النظرية والتاريخية للمسألة. الا انه يمكننا ايضا ان نقف عند بعض الاعتبارات الذاتية التي قادت بعض الشباب الى رفع شعار تقرير المصير بالنسبة للصحراء المغربية.

فهناك في وجهة نظرنا من يطرح ذلك ويدعو لاستقلال "الشعب الصحراوي" فقط لأن النظام الجزائري يؤطر "مغربية الصحراء" بعد أن وافق سابقا على مسألة تقرير المصير (مصادقا النظام على ذلك مرتين في دورات الأمم المتحدة). أي ان هذا الموقف هو عبارة عن رد فعل تلقائي يدعي الى معاداة النظام من اجل معاداته، وان ادى ذلك الى التعارض مع الشعب المغربي ومصالحه. وهكذا فاذا ما تبنى النظام تقرير المصير يجب القول بالمغربية، واذا قال بالمغربية علينا بالعودة لتقرير المصير. وهناك من يدعي ان "العمل المسلح" في الصحراء من اجل استقلالها وتكوين دويلة من شانه أن يخلق "بؤرة ثورية" كما يقولون، ستسمح بدعم الثورة المغربية نفسها.

ولا داعي لقول الشيء بهذا الصدد، ولكل وعي حول "الاطاحيات الثورية" التي لا توجد سوى في الاذهان والمخيلات، تعطي الكلمة لعمر الحضرمي، احد زعماء ما يسمى بـ"البوليزاريو" ليعبر عن توجيهاته الانفصالية الرجعية الحقيقية :

"كوسمت المغرب العربي"

يقول عمر الحضرمي في مقابلة له مع المجلة الفرنسية "استراتيجية افريقيا والشرق الأوسط" (العدد ٩) :

"ما عدا مسألة التراب، فكل شيء قابل للمفاوضات : الاقتصاد، السياسة، الامن. وذلك لاعطاء كل الضمانات للمغرب. ان الوطن الذي نريده، هو وطننا لوحدنا ولا لاحد غيرنا، وليس موجها ضد اي احد. ان عدائنا الاصلي هو ان يكون هذا الوطن بمثابة كمبوديا المغرب العربي. فعندنا عراقنا من جهة، ومملكتنا السعودية من جهة اخرى، وتتعلق ان نقيم علاقات جيدة معهما. ومن الواضح، انه لا يمكن الرجوع الى مغرب الدول دون تسوية مسألة الصحراء، لان الدول يجب أن تكون مبنية على أساس احترام قاعدة مشتركة : الحدود".

وردا على سؤال "هل تريدون الاطاحة بملك المغرب؟"، أجاب قائلا : "لا، لم لماذا؟"، واضاف : "يقال اننا نهاجم جنوب المغرب من اجل الاطاحة بالملك. ان هذا غير وارد اطلاقا. اننا نهاجم جنوب المغرب لاسباب التكتيك العسكري المحض فقط".

اما بالنسبة للعلاقة مع الغرب فيقول : "ان لفرنسا واسبانيا علاقات حميمة مع كل بلدان المنطقة : المغرب، الجزائر، تونس وموريتانيا. لماذا اذن لا تكون مع البوليزاريو؟ فكما لفرنسا علاقة عندنا، نطلب ان تكون لنا علاقة عندها. وهذا امر واضح. انما نتمنى اقامة علاقات الصداقة والتعاون مع فرنسا، ونعتمد كثيرا على هذه الاخيرة، والدليل على ذلك اننا اعتمدنا الفرانكفونية. اما اسبانيا، فانها جارتنا، ومن الواضح انها تتطلع لخطوط المغرب. لكننا نظن ان تطور الوضعية سيفتح الابواب لدور جديد وسلمي بالنسبة لهاتين الدولتين، ولاوروبا عموما. وهذا ما نتمناه".

ان هذا الكلام غني عن كل تعليق...

يبقى اذن أن الشباب المغربي الذي انساق في طرح خاطئ، نظريا وعمليا، وراء شعارات تقرير المصير و"البؤرة الثورية"، مطالب اليوم، اكثر من اي وقت مضى، بالكف عن دعم الاطروحة الانفصالية ذات المصالح الذاتية والانتهازية، ومراجعة مواقفه بالجرأة اللازمة، من اجل الانسجام مع طموحات الشعب المغربي في تحقيق وحدته الوطنية والاشتراكية الحقيقية.

كما ان القوى التقدمية العربية والاجنبية، مطالبة ايضا بالتمعن في مواقفها التبسيطي المعارض لمصلحة الشعب المغربي في قضيته وطنية عادلة، عمل النظام المغربي الرجعي على تقويمها وتسييسها وتسخيرها لخدمة مصالحه الذاتية والضيقة.

★

من مطبوعات "الاختيار الثوري"

النقد الذاتي .

استخلاص العبر و الدروس
من التجربة النضالية
للإتحاد الوطني
للقوات الشعبية

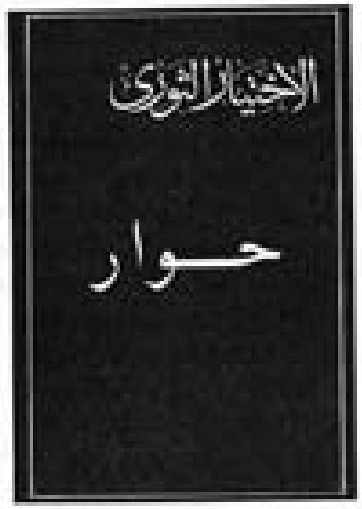

حوار .

الموقف
الوطني الثوري
من مسألة
الصحراء المغربية

أبعاد الأزمة اللبنانية

في الظروف العصيبة التي يجتازها لبنان ، نتيجة تصعيد الهجمة الصهيونية الامبريالية التي تستهدف تصفية المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية في لبنان ، سنحت الفرصة "للاختيار الثوري" بلقاء احد مسؤولي الحركة الوطنية اللبنانية ، جرى بعد حديث مطول حول الوضع الذي يعيشه لبنان ، نورد في ما يلي محتوى ما جاء فيه .

"ان الوضع الحالي في لبنان ما هو في الحقيقة الا استمرار للأزمة التي تعاني منها البلاد من جراء المؤامرة الصهيونية التي استهدفت الوطن العربي برمته منذ سنة ١٩٧٥، على الخصوص. والأزمة الراهنة تشبه أساسا بمحاولة الكتائب الذين يحظون بالمساعدة المباشرة لإسرائيل، تنفيذ الخطة الاساسية للاعتداء، ولو بشكل غير مباشر، عن قيام دولتهم الانعزالية كمرحلة تسبق الحاق لبنان بعجلة كامب دايفيد.

بهذا المعنى كنا نقترب منذ البداية، كحركة وطنية لبنانية، عملية التفاعل والمواجهة على وفاق مع عملاء اسرائيل، وبالذات مع عصابات الكتائب من طرف السلطة الرسمية. هذه المواجهة التي كانت في أساسها تغطية مستمرة من طرف السلطة الممثلة بالرئيس سركيس، حول الكثير من الخطوات التي اتخذها حزب الكتائب بالتجاه ارساء الدولة الفاشيـــة.

هذه التغطية كانت تتمثل بالتضييع حينا، وحينا آخر بالتواطؤ المباشر للاختلاق بعض المشاكل مع قوة الردع العربية لافساح المجال أمام دخول الجيش اللبناني بحجة قوله المهام الامنية لحاجز ما بين قوة الردع وعصابات الكتائب، بهدف أن يصبح هذا الجيش سياجا فعليا لدويلة بشير جميل. هذه المرحلة كنا نحذر من أنها ستكون بداية لخطوة أخرى مكملة، هي خطوة الوصل بين دويلة المسيح سعد حداد بالجنوب، والتي تقوم عليها سيطرة اسرائيلية مباشرة، وبين الدويلة التي يسيطر عليها بشير جميل، وتقول بـ"دولة". لانه فعلا هناك مؤسسات مالية وادارية وعلاقية وبوليس... هناك مؤسسات تمثل تابعة مباشرة لحزب الكتائب، ومصلحة جباية الضرائب ومصلحة الجمرك، وكلها قائمة ومنظمة بمعرفة وبتغطية السلطة الرسمية لالياس سركيس.

حـوادث زحلـة والمخطـط الصهيونـي الكتائبـي

وقعت حوادث زحلة الاولى منذ منتصف السنة الماضية، وكنا نقول ان التغطية حالت دون دخول الجيش لزحلة، بل ان انسحابه منها شكل بداية للكتائب للسيطرة أساسا على هذه المدينة، والانطلاق منها لتنفيذ هذا المخطط الذي تحدثنا عنه ما بين المنطقة التي يسيطر عليها الكتائب وما بين منطقة سعد حداد التي تقع في أقصى الجنوب، في تعاون مع اسرائيل. غير فتح طريق في جبل صنين وفي الجبال المحيطة كسلوان بمنطقة زحلة. وبعدها، ومن خلال تفجيرات عسكرية معينة، واتصال منطقتنا مع قوة الردع بنفس الطريقة التي مورست بزحلة، يأتي الجيش اللبناني ليستقر مكان قوة الردع... وبعد ذلك، ومن خلال قناع الجيش اللبناني المنهار والموضح الهوية، تأتي الكتائب لتسيطر على هذه المناطق، وتصبح هناك امكانية لوصل المنطقتين، وبالتالي توجيه ضربة قاضية من قبل اسرائيل للحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية. هذه الخطة كنا نشير اليها منذ معركة زحلة الاولى، والتي انتهت بناء على

تدخل رئيس الجمهورية بالذات، الياس سركيس، لصالح تمكين قوة الكتائب من هذه المدينة والسيطرة عليها. بعد هذه الفترة حاول الكتائب في أواخر شهر مارس، وبعد ان جاء احمد المسوارين الاسرائيليين كما هو واضح في كل الصحف في بداية السنة، للتخطيط لفتح الطريق الاولي ما بين زحلة وما بين منطقة سيطرة الكتائب، وعلى هذا الطريق توجد مواقع لقوة الردع العربية، فكان لا بد لقوة الكتائب أن تصطدم مع قوة الردع العربية الممثلة رسميا بحماية المنطقة، واضافة الى ذلك، كان هناك الاعتصام الذي يمارس داخل زحلة، حيث عشرات الفتش من أهل المدينة قاموا على يد الكتائب لا لانهم يساريون، أو لانهم مع السوريين، بل فقط لانهم لم يهموا مع افتعال ما حصل ما بين زحلة والمناطق الوطنية التي تسيطر عليها قوة الردع والقوى الوطنية في منطقـــة البقـــاع.

افتعلت هذه المعركة، ولكن هذه المرة كان هناك قرار حاسم من قبل قوات الردع العربية ومن قبل القوات المشتركة للحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية لافشال هذه الخطة، وبالتالي ضرب مواقع الكتائب، وهكذا وجهت ضربة عسكرية من قبل القوات الوطنية لتواجد الكتائب في مدينة زحلة، وكذلك لمواقعها العسكرية الاساسية في منطقة صنين، وعلى اثر هذا، أتى التدخل العسكري الاسرائيلي ليعطي بعدا جديدا للمعركة التي جرت في مدينة زحلة، ويبرز هذا التدخل مباشرة بإسقاط طائرة هليكوبتر تابعة لقوة الردع العربية فوق مدينة زحلة، وقصف المواقع المشتركة في صنين، هذه المنطقة التي لا توجد في الجنوب قرب حدود اسرائيل، لكن بمنطقة البقاع المحاذية للحدود مع سوريـــا.

هذا القصف كان هدفه برأينا، عدم افساح المجال لتحويل الهزيمة العسكرية للكتائب الى هزيمة سياسية، تكرس من خلال المبادرة التي قام بها وزير خارجية سوريا بموافقة كافة الاطراف الوطنية من أجل ايجاد حل سياسي في لبنان، وهذه المبادرة كانت لها حظوظ نجاحها لولا التدخل الاسرائيلي الاخير، وكذا التضييع الذي جرى من قبل سلطة الياس سركيس حول امكانية هذا الحل. وهذا التضييع يكرس سلسلة من المواقف التي اتخذها رئيس الجمهورية ضمن هذا الاطار، سواء بالنسبة لمختلف مبادرات الحركة الوطنية من أجل الوفاق، أو بالنسبة لمطالبة كل الاطراف اللبنانية (ما عدا ما يسمى بالجبهة اللبنانية) الممثلة في سليمان فرنجية، رشيد كرامي، التجمع الاسلامي، وحركة أمل، وجبهة المجاهدة على الجنوب، والحركة الوطنية اللبنانية: كل هذه الاطراف، والتي تشكل فعليا وعلى الساحة ما بين الثلثين والثلثين بالمائة من الشعب اللبناني، طالبت بإيجاد حل سياسي، ورئيس الجمهورية هو الذي عليق امكانية كل هذه الحلول مقابل الوصول الى اتفاق لحماية الكتائب... والتدخل الاسرائيلي الاخير، هدفه انه افشل امكانية الوصول الى حل بعد الضربة العسكرية التي وجهت للكتائب، ادخل المنطقة أيضا في جو من صراع جديد غير التجربة الامريكية التي

اعطيت لاسرائيل من خلال الجولات الحربية لقيادتها حبيب الذي كان هدفها دعم اسرائيل ومحاولة اعادة تجريبها، وليس البحث عن حل أو وساطة...

وهذا يعني أن المشكلة الاساسية التي ابحث فيها الاميركيون في المنطقة، ليست في أزمة الصواريخ المفتعلة، اذ يعرف الكل أن هذه الصواريخ في حد ذاتها مجرد دفاعية، والتي لم تكن المشكلة الاساسية التي بحثت لا مع السوريين ولا مع اللبنانيين ولا مع الصهيانية، بل ان ما ابحث عنه الاميركيا هو:

أولا، كيفية اعادة السيطرة على المنطقة التي توجد بها حاليا قوات الحركة الوطنية اللبنانية في صنين، وأيضا اعادة الاعتبار لحزب الكتائب بعد الهزيمة العسكرية التي تعرض لهـــا.

ثانيا، تمهيد الاجواء، خلال هذه الفترة، لمغامرة عسكرية جديدة لم تعد وهما، بل أصبحت حقيقة يحمي لها الصهاينة لمحاولة لضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في جنوب لبنان، وأيضا اقفال معركة مع سوريا.

الـــرد الوطنـــــي التقدمـــــي

هذا هو الوضع الحالي، بشكل عام، في منطقة لبنان، والذي يميزه حاليا برأينا، استمرار الصمود الوطني اللبناني الفلسطيني السوري أولا، ثم، وبعد فترة أولى من الصمت العربي، اعادة التأكيد، من خلال موتمر وزراء الخارجية العرب الاخير، على دعم مواقف هذه الاطراف الثلاثة الصامدة.

ويرأينا أن هذا الدعم يجب أن يتطور ويصبح دعما فعليا، على أن يستمر الوضع في داخل لبنان باتجاه تعزيز صمود الجماهير الوطنية، وهذا ما عمدت اليه الحركة الوطنية اللبنانية من خلال بيان التنظيم السياسي الذي صدر مؤخرا عن المجلس السياسي المركزي، هذا التنظيم الذي حدد اساسا لتوقيف هذه المرحلة من القتال الامني في المناطق الخارجة عن سيطرة الكتائب، هذا القتال المفتعل، كما قالت الحركة الوطنية (وأكدت مرارا) من قبل السلطة، بحيث ان امكانية فرض الامن من قبل قوة الامن الداخلي وجدت بيد الياس سركيس، لكنه لم يستعملها في المنطقة، أما ان استمرار عمل المؤسسات الوطنية في مناطقنا كان ايضا معلنا، وأننا من جهتنا نقدم كل الدعم لعمل هذه المؤسسات، ولكن السلطة كانت تتعمد عدم القيام بواجباتها لكي تستمر هذه الحالة من الفلتان، ولكي اصبح الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية في مواقع اتهام أمام الجماهير.

انطلاقا من هذا الواقع، ومن الوضع الحالي الذي وصلت اليه المنطقة، رأينا أنه من واجبنا أساسا تأمين حاجيات الجماهير ومقومات صمودها من كل النواحي: الاقتصادية والسياسية والصحية والامنية... والاستعداد للمواجهة العسكرية التي تشكل

خطرا فعليا، وليس داهما ومحتما.

ان تحركنا الحركة وطنيا، تقوم حاليا على ثلاث محاور مترابطة ومتكاملة:

ـ المحور الاول: تعزيز الحركة الوطنية اللبنانية سياسيا وتنظيميا وعسكريا، وكذا تحسين وتكريس التحالف في ما بين أطرافها.

ـ المحور الثاني: هو التوجه نحو الصف الوطني العريض، صحيح انذا الطرف الاساسي الممثل لتحالف القطب اللبناني، الطرف الاساسي، لكن ليس الطرف الوحيد المعادي للمشروع الانعزالي، هناك قوات وطنية اخرى، وبشكل اساسي، القوى المسيحية الديموقراطية، اضافة لحركة امل والقوى الصف الاسلامي الوطني، كل هذه القوى لها تواجد في الساحة، والمطروح الان، هو ابقاء هذا التحالف الواسع لكل القوى الوطنية وبطور طبيعي للحركة الوطنية اللبنانية.

المحور الثالث: وهذا التحالف يجب ان يأخذ بعده الطبيعي والسياسي الواضح من خلال تعميق التلاحم بينه وبين المقاومة الفلسطينية، وبهذا الصدد هناك مواقف سياسي بحسوم عندنا كحركة وطنية لبنانية: ان لبنان ليس "بلدا ذو وجه عربي"، بل هو بلد عربي، وبالتالي، فانه يتحمل كل مسؤولياته القومية وبشكل أساسي تجاه القضية الفلسطينية، ومن هذا المنطلق، ثم تعد المسألة مسألة مساعدة نصب تحقيق نحسب، بقدر ما هي قضية وجودنا نحن بالذات، وبالتالي قيامنا بمهامنا على الصعيد القومي، من هذا المنطلق أيضا، ليس هناك اي مبرر للتخوف ـ أيا من أي طرف كان ـ من فقدان هذا التلاحم بيننا وبين المقاومة الفلسطينية، انما يجب أن ينظم هذا التلاحم بشكل يترك حرية الحركة لكل أطرافه ضمن الاتجاه العام للصمود اللبناني الوطني والصمود الفلسطيني، اي بالشكل الذي يضمن وحدة النضال واستمراريته، ويترك في نفس الوقت حرية التحرك لكل طرف، واستقلالية نسبية في اتخاذ قراراته.

واضافة الى هذه المحاور الثلاثة، هناك محور اساسي في الطرف الرامي، وهو ان هذا التلاحم الفلسطيني اللبناني ـ السوري، والذي يجب ايضا أن يتعزز بالتلاحم الثلاثي الفلسطيني ـ اللبناني ـ السوري، والذي يجب ان يقوم بدوره اساسا لانبعاث جبهة وطنية تقدمية عربية واسعة تضم كل القوى الوطنية، وكل التنظيمات التقدمية والجماهيرية في الوطن العربي، وهذه الجبهة العربية العريضة هي الكفيلة بتشكيل القاعدة الفعلية لإسقاط مؤامرة كامب ديفيد، اذ مهما كانت ايجابية الخطوات التي تم تحقيقها، فلا بد من تعزيزها بهذه العلاقة الديموقراطية للتحالف، من أجل انطلاق فعلي لطاقات الجماهير لممارسة دورها في اسقاط المؤامرة.

★

من مطبوعات

"الاختيار الثوري"

الاختيار الثوري في المغرب .

التقرير العقدي الذي أعده الشهيد المهدي بن بركة بمناسبة المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة ٦٢
(باللغتين العربية و الفرنسية)

نقد تجربة اليسار المتطرف :

الحطة الثورية في الميزان

ان الحركة الثورية كعملية تاريخية معقدة بمراحل مختلفة تواجه كل منها مهمات معينة تحددها طبيعة ومستوى التناقضات التي تشكل اطار تطورها . ولتحقيق هذه المهمات يقدم الحركة الثورية خطوة أو خطوات على طريق تطورها التاريخي . ومن المهمات التي تواجه اليوم الحركة الثورية في المغرب هي معالجة ظاهرة "اليسارية" . وهي مهمة عملية ونظرية تطرحها ممارسة النضال الثوري في المرحلة الراهنة وتقتضي البحث عن الاسس التي ترتكز عليها هذه الظاهرة الاجتماعية في تبلورها كتيار سياسي وايديولوجي محدد داخل الحركة التحررية العامة في بلادنا . فهي اذن تقتضي معالجة ثورية ، أي معالجة تستهدف مصلحة الحركة الثورية نفسها .

وتتميز هذه المرحلة عن المراحل السابقة بتعميق الحركة الثورية عموما ، أي بتعمق فرز التناقضات السياسية والايديولوجية الخاصة بها . وقد وجد هذا الواقع تأكيده في اتجاه فئات واسعة من البورجوازية الصغيرة نحو الانخراط الى النضال الجماهيري والسياسي من أجل التحرر . وهذا الإتجاه يحدده النضال العملي لجماهير البورجوازية الصغيرة ، فهو في حد ذاته اذن تعبير عن الضرورة التاريخية لتحالف قواعد من البورجوازية الصغيرة مع الطبقة العاملة ، ولذلك حين يلتبس بعض المثقفين البورجوازيين فكر الطبقة العاملة ، فانما هم يعبرون ، على المستوى الايديولوجي ، عن هذه الضرورة التاريخية . غير أن الفرق كبير بين مبنى النظرية والممارسة السياسية الحقيقية بالانسجام مع هذه النظرية ، وذلك لان ممثلي البورجوازية الصغيرة يأتون الى الوعي

الثوري من منطلقاتهم الطبقية، حاملين معهم الخصائص السياسية والنفسية والفكرية لطبقاتهم. لهذا تراهم يمارسون العمل السياسي، على مختلف مستوياته، داخل الأفق الذي يرسمه بالضرورة تحديدهم الطبقي. فوعيهم للواقع الاجتماعي وللعملية الثورية ضمنه، محدود بحدود وافقهم الطبقي الخاص، لا يتعدونه الا وعياً، فتتحول ثوراتهم العاجزة عليه الى "جملة ثورية" يتلذذون بسماع رنينها ولأن رقيها في آذانهم كفيل بتغيير الواقع. ومن هنا يأتي خطر اليسارية على تطور الحركة الثورية. غير أن هذا لا يعني استحالة الارتباط العضوي بين مثقفين ينحدرون من فئات البورجوازية الصغيرة وبين الطبقة العاملة والجماهير الشعبية، لكن هذا الارتباط الثوري يتطلب اختياراً حسيراً واعياً يتخلص من القيم والممارسات البورجوازية لينصهر في قيم وممارسات الكادحين.

غير أن اتساع رقعة النضال الجماهيري وبدايات تعمق الوعي الثوري في المغرب تفرض على الاتجاه اليساري تدريجياً مراجعة مواقفه ونمط تفكيره. وهكذا نلاحظ بعض المحاولات الجادة للنقد الذاتي والمراجعة، تعتبر ايجابية اجمالاً لانها تشكل بوادر وعي داخلي بضرورة تقويم الانحراف اليساري في آفاق تجاوزه. غير أن هذه المحاولات، رغم ايجابياتها، ما زالت تشكو من النواقص في بعض الجوانب. ولنحن اذ نخصص هذا الفصل لتقييم تجربة اليسار المتطرف في المغرب، فانما نقوم بذلك في اطار المعارضة الايديولوجية الهادفة الى تحرير الممارسة السياسية للصراع الطبقي من سيطرة الايديولوجية السائدة، كشرط ضروري لتطور الحركة الثورية، لان هذا التحرر هو الطريق الضروري الذي يمهد للتحرر من السيطرة الطبقية للطبقة السائدة. كما أن يسارية الانحراف اليساري لا يقم بمعزل عن مناهضة الانحراف الاصلاحي، فهذان الانحرافان متلازمان، اذ لا تنفصل الاوهام والممارسات اليسارية الا في ظل هيمنة الخط الاصلاحي على الممارسة السياسية للصراع الطبقي.

الظروف العامة لنشأة اليسار المتطرف في المغرب

تندرج نشأة التطرف اليساري في المغرب في اطار صراع التناقضات التي عاشتها الحركة الوطنية منذ السنوات الاولى للاستقلال. ولقد تمحورت هذه التناقضات بشكل محسوس ما بين سنوات ١٩٦٥ و١٩٧٠، التي عرف فيها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بوجه خاص، تطورات هامة، مع ما رافقها من غموض في الخط الايديولوجي وعدم استقرار في الاختيارات السياسية والاساليب التنظيمية، وذلك بالرغم من المجهودات التي بذلتها القواعد من أجل تحويل الاتحاد الوطني من تنظيم جماهيري جامع الى حزب يقوم خطه وتنظيمه على أسس علمية ثورية. ويمكن القول أن سنة ١٩٦٥، قد كانت بداية التوضيح هذه التناقضات الداخلية التي سيدفع بها التطور التاريخي

الى المزيد من التعمق ثم الانفجار، بعد أن عبرت كل الروافد التي بني على أساسها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية عن وجودها بشكل خاص، فاكدت القيادة النقابية تشبثها بالتوجيه الاقتصادي الضيق، وبرز التيار النضالي الجذري ضد البيراكل القائمة، وفي نفس الوقت مارست القيادة الحزبية أساليب المفاوضات والتحالفات الفوقية، بينما اجهضت المحاولات الجادة من أجل بناء الحزب على أسس علمية. لقد كان لكل ذلك اثره على أوساط المناضلين الشباب الرافضين لسياسة الحزب و"تكتيك" قيادته (وحدة ٦٧ ـ المفاوضات ـ الكتلة الوطنية، الخ...) والذين اصطدموا بعدم توفر الحزب على هياكل ومناهج تسمح بالنضال الديموقراطي، خاصة في فترات الجمود الطويلة التي وضعت الحركة الوطنية عموما في مرحلة أزمة وتراجع عميقين. كما أن أوضاع حزب التحرير والاشتراكية قد دفعت من جهتها، بفئة من مناضلي هذا الحزب الى الانسحاب واعلان الحرب ضد "التحريفية" خطه الايديولوجي.

في ظل هذا الجمود أتى الوليد الجديد ـ اليسارية ـ كرد فعل أكثر منه بديلا لمشكلات المرحلة، كما انه تأثر بالعلاقات المزيفة بيونيو ١٩٦٧، على الصعيد القومي وبحركات الشباب في أوروبا، وخاصة منها مايو ١٩٦٨ بفرنسا. ولقد حمل هذا التيار معه منذ البداية كل خصائص الأزمة اضافة الى التناقضات الخاصة به باعتباره لأن ـ وما يزال ـ عبارة عن تجمع لاتجاهات مختلفة جمعتها في المنطلق شعارات موحدة تدور أغلبها، من قريب أو بعيد، حول أطروحة بناء الحزب الثوري خارج تنظيمات الحركة الوطنية وتناقضاتها. ولقد جعلت تنظيمات اليسار المتطرف من هذه الاطروحة حجر الزاوية في دعايتها وتنظيراتها، وذلك في شكل مقلوب دائم ومنهجي في البلوى السياسية الوطنية الموجودة، مما ابعده به عن طرح وصياغة المهام الحقيقية، وحصر كل نشاطه تقريبا في البيانات وردود الفعل فقط علما منه أن ذلك هو طريق تقديم الوعي الثوري ببلادنا، فانتهى به الأمر الى التجرد عن الواقع الفعلي والتيه في شعارات ذاتية لا تتلاءم مع طبيعة المرحلة ولا مع التقاليد النضالية الشعبية التي ترسخت في وجدان الجماهير على طول الكفاحات والتضحيات المتواصلة.

ولقد شكل المؤتمر الخامس عشر للاتحاد الوطني لطلبة المغرب التعبير الصريح لهذه المواقف، بعد الكومين ما سمي بـ"جبهة الطلبة التقدميين" التي ستعرف فيما بعد انفجارا نظرا لتباين مواقف الاتجاهات داخلها من القضية الوطنية من جهة، ومن الأرضية التي تم عليها انشاء "الجبهة" نفسها من جهة أخرى. ونظرا لهذه الخلافات في كلا الطرفين، تطور البعض منها وعرف الانشطار، وبقي البعض يلوح بانفجار مستقبلي.

ان أزمة اليسار المتطرف في المغرب تكمن في طبيعة وفي عمق التيار نفسه ولخصوصيات الواقع المغربي وشروط النضال ضمن هذا الواقع. فلننظر عن قرب الى هذين الجانبين:

• • •

طلاق الفكر مع الواقع

ان العداء للنظام ليس كافيا لاثبات الطابع الثوري لممارسة السياسية، فهذا الاخير يتحدد في البدء في اطار الصراع الايديولوجي، اذ لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية، والحال أن الاتجاه اليساري بمختلف تلاوينه قد اثبت عجزه النظري وتخلفه عن الشروط التاريخية والاجتماعية التي تحدد نطاق الفكر الثوري وفاعليته. ويظهر هذا على الخصوص في تحديد اليساريين لطبيعة المجتمع المغربي، فهم لا يرون فيه الا صورة عن نموذج جاهز هو النموذج الراسمالي المتكامل، عن طريق نقل المفاهيم بشكل تبسيطي وبدون نقد، كمفهوم البروليتاريا مثلا، في حين أن فهم التشكيلة الاجتماعية في المغرب يتطلب بالضرورة اتخاذ مفاهيم تتجاوز التبسيط والاختزال. ويتعكس هذا الجمود العقائدي في ممارسة ايديولوجية احادية الجانب عاجزة عن التبع ديناميكية الصراع السياسي، فتظهر نزعة الرفض على الصعيد الايديولوجي أيضا، وكأن مجرد الوعي بضرورة تغيير النظام يغني من تحليل الواقع في تفاصيله وحركته التاريخية. وهكذا فان اليساريين لا يرون في تاسيس الكونفدرالية الديموقراطية للشغل مثلا، الا لغة جديدة، أو في عودة مشروعية الحظة الخلابية الا مناورة جديدة، ولان الحكم هو الفاعل الوحيد في الساحة السياسية. ومن جهة اخرى، فان ما يميز جوهريا نمط التفكير اليساري هو عدم التمييز بين المستويات التي يتجسد فيها الصراع الطبقي، اي المستوى الاقتصادي والسياسي والايديولوجي، فهم يقتصدون بأن مجرد الاشارة الى التناقضات الاقتصادية والاجتماعية وكشفها كافيان للاستنتاج بان الظروف نضجت للتحويل الاجتماعي الثوري في البلاد، وان مجرد رفع شعار التحويل يؤدي حتما الى حشد وتعبئة القوى الجماهيرية للقيام بهذا التحويل. ويتجلى هذا الخلط في المستويات كذلك في نوعية تعامل الاتجاه اليساري في التنظيمات الجماهيرية والمنظمة الخلابية خاصة) مع القضايا النقابية، حيث يتراوح الموقف ما بين النضالات في تاسيس كل صغيرة وكبيرة بمناسبة وبدون مناسبة، دون اقامة وزن حقيقي للنضال النقابي، اي للطبيعة الاجتماعية للتناقضات الجماهيرية المعنية، وبين رفض اتخاذ المواقف السياسية عندما يستلزم العمل النقابي توضيح ابعاده الاستراتيجية.

ولعل الموقف من مسالة الصحراء المغربية خير معبر عن ذلك الانفصام القائم بين الفكر اليساري والواقع التاريخي، فبينما يتعصب البعض في عملية هروب الى الامام للاطروحة الانفصالية ويحيطون انفسهم بدرع "تفسير الحقائق الموضوعية" (انظر مقال "الصحراء المغربية ومسالة تقرير مصير الشعوب" في هذا العدد)، يتخذ البعض الاخر بسياسة "اللاموقف"، حتى من جانب دعاة النقد الذاتي، ومع ثقتنا بأن اختيار "اللاموقف" لا يمكن له أن يدوم طويلا، فانه من اللازم الاشارة الى أن الموقف من المسالة الوطنية هو معيار صدق المراجعات النقدية، ذلك أن استيعاب ابعاد الصراع

حول قضية الصحراء المغربية يقتضي نظرة جديدة للتاريخ وقراءة علمية حقا للمبادئ النظرية السياسية الثورية واقامة التوازن للنظرات المحيطة بمصير الشعوب.

وتجدر الاشارة من ناحية اخرى أن الاتجاه اليساري عندما يتوجه بالنقد للاختيار الاصلاحي داخل الحركة الوطنية، فانما يقدم بذلك من باب نفي أي امكانية للتطور الثوري ولفعالية النضال القاعدي المدعم باستعدادات الجماهير الفعلية، وهو موقف مخالف تماما للفكر السياسي الثوري وللتجربة التاريخية التي يحلو للبعض لليساريين الرجوع اليها اما لاثبات سلوك الرفض او لتبرير التخلي عن المواقف الوطنية والديموقراطية الايجابية. أما عندما يحاول اليساريون التقرب من أوضاع الاحزاب الوطنية في المغرب، فهم يتقاطعون في اختراعات تنم عن اتساع الخيال عندهم، ونحن ندعوهم لان لا يكلفوا انفسهم عناء التصفيقات الكاريكاتورية، وأن يكلفوا بدلا من ذلك على محاولة استيعاب الجوانب الثورية في تجربة الحركة الوطنية.

والخلاصة انه اذا كان الفكر الذي دعا اليه اليسار المتطرف لم يلق اذنا مستجابة في الاوساط الجماهيرية العاملة، فذلك لانه لا ينطلق من فهم صحيح لواقعنا المغربي ولا يبلور المفاهيم والشعارات المنسجمة مع هذا الواقع.

مسالة بناء الحزب من الانغلاق في السرية الى تعبئة الجماهير

يتجلى شعار بناء "الحزب البروليتاري" ضمن المشروع اليساري كاداة لتخطي مجرد عن تاريخ وواقع الصراع السياسي في المغرب، وذلك حين تجعل التنظيمات اليسارية من نفسها "نواة ثورية" على حد تقييمها الذاتي، وتتصور بناء الحزب على انه منشأة للمحترفين الثوريين، وهذا في الحقيقة ما هو الا ترجمة لعجز الاتجاه اليساري عن تمثل المصالح الفعلية للجماهير المستغلة والطبقة العاملة بوجه خاص، ويبرز هذا التصور التطهوي البورجوازي الصغير في الاعتقاد أولا بان بذر الفكر الثوري هو الضمانة الوحيدة لبناء الحزب، في حين لا يعدو شعار الالتحام بالجماهير المطلب أبدي الا عنوانا لذلك العجز الذي لا تخلد حدته الا في أوساط النخبوية التعليمية حيث ترعرعت تنظيمات اليسار المتطرف واتخذت ملامحها الرئيسية.

والطريف في الامر أن اليساريين في الوقت الذي يؤكدون فيه أن تشكيل "الاداة التنظيمية للبروليتاريا" لا يمكن أن يتم خارج النضالات الاقتصادية اليومية للطبقة العاملة، تراهم يوظفون النقابات والمنظمات السياسية ويتعلقون بالنفسية مبادرة تاريخية مثل تاسيس الكونفدرالية الديموقراطية للشغل، ومع ذلك يصبون النار موضوعيا في طاحونة البيروقراطية وسيطرة الايديولوجية السائدة، ولا يرون الواقع الا في اطاره لان فكرهم بالضبط لا يحتمل التغيير والتطور، انه منطق غريب حقا: بناء الحزب الثوري من عدم، والغريب أيضا ان يساريينا يعترفون بان النضال الديموقراطي

في المغرب أخذ في التطور، ولكنهم يمتنعون عن القول بين يحرك هذا النضال ؟ فيبدو الأمر أما أن هناك حتمية اقتصادية جبارة أو عصا سحرية خفية هي التي تقوم مقام التنظيم، وليس من المناقض أبدا أن يكون التشديد على السرية بتعميد العلوية، وكلما تعمقت صيرورة الانفصال عن الجماهير، كلما تمادى اليساريون الذاتيون التقطي على هويتهم الثورية، واعتنوا بشعارات الرفض الأعمى في عملية يحيق نعتها بالإرهابية السياسية.

وإذا كان لأسلوب السرية في التنظيم ما يبرره موضوعيا، فانه عندما يكون بغياب ممارسة جماهيرية واسعة وساعية يؤدي بالضرورة لبروز النزعة الانقلابية. فتاريخ التطرف اليساري في المغرب حلي: بالانسحابات والانقسامات التي لا مبرر لها سوى العدام ضوابط ثورية حقيقية، فالمواقف اليسارية تخضع دوما لتذبذبات الشبيبة، عوض أن تخضع الشبيبة للصراع الطبقي. والانشقاقية هي في آخر التحليل تعبير للانتظارية على المستوى التنظيمي والانفصال التمرد البورجوازي الصغير عن عموم الجماهير الكادحـــة.

أليس من باب الوهم أو المغالطة الدعوة التي بدأ الحزب في ظل الانشقاقات والانقسامات، وفي ظل القيام فقط بالعمل ذي العمدى الدعائي النيراني والمردود الظرفي أو العمل العفاهر والاستعوذ بدون برنامج سياسي يتعامل مع كل مرحلة مرحلة حسب تقدير سياسي مشهور وواضح الآفاق؟.

خـلاصـــــات

ان التطرف اليساري، المرض طفولي، مصادر مختلفة ترابط فيها بمعطيات موضوعية تميز الوضع القائم: واقع القهر والاستغلال، الأزمة الاجتماعية وانعكاساتها على الشبيبة، ضعف الحركة الثورية، الخ ... وهو يتكون من تيار اجتماعي يرفض انتماء البورجوازي الصغير ويعلن النضال ضده، ولكن ليس من موقع دعم نضال الجماهير المستقلة والدفع بالواقع نحو التقدم، بل فقط من موقع الرفض المطلق والمجرد لكل ما هو موجود بينما كان أم يسارا، وطنيا تقدميا أم عميلا رجعيا، وذلك بهدف احتلال "القص اليسار" والتطرف من أجل التطرف.

ويبقى التطرف اليساري موضوعيا نزعة بورجوازية صغيرة عاطفية قياسا بالمسار التاريخي. ولأي حركة بورجوازية صغيرة، فانه غالبا ما يعرف التقلب وعدم الاستقرار في المواقف، وهو مؤهل تاريخيا للتفتت والذوبان اما ضمن أوضاع ثورية أو خارجها، أي عن طريق الالتحاق بالطبقات السائدة.

وبالرغم من أن التطرف اليساري هو أصلا أداة للمجتمع الراسمالي وضده، فان بامكانه الحاق أضرار بالغة بالحركات الثورية وبمصالح الجماهير اذ أنه يظل في نهاية الأمر عرقلة و"تلويحا" على النضال الثوري، ان لم يكن خدمة موضوعية

لرجعية يحكم أن التطرف اليساري هو من داليز هيمنة الايديولوجية السائدة كما أثرنا.

ان المطلوب للخروج من الوضعية الاحتضار الذاتي الذي طبع وما يزال يطبع تجربة اليسار المتطرف بالمغرب، هو أولا التخلص من الجمود العقائدي بالتفتح على حقائق وتاريخ الواقع المغربي في تركيبه الذي يفيد القوالب الجاهزة، أما من جانب التراجعات النقدية الجارية، فان ضمانة استمرارها في آفاق ايجابية هي من جهة الخلاص نهائيا من الوضع السياسي يشكل يفسح المجال لتظافر القوى الديمقراطية للمبادرة النضالية بدل العزليات القاتلة، ومن جهة أخرى الكف عن الارتباط العاطفي اللامعقول بذكرى "الجبهة العالمية الديمقراطية" وعن تصوير هذه الأخيرة كقوة ثورية رغم الاعترافات بطابعها الطبقي البورجوازي الصغير فكرا وممارسة. اننا ندعو الى تعميق النقد الذاتي في جميع جوانبه، ونحن مقتنعون بأن مسار الحركة النضالية في بلادنا كفيل بتطويق آثار التطرف الإصلاحي واليساري على حد سواء، ويفتح باب العمل الثوري أمام كل الروافد على اختلاف أصولها التنظيمية.

الرابطة الافريقية "الاشتراكية" في خدمة الاستعمار الجديد

منذ زمن طويل والأممية الاشتراكية تعمل على مد نفوذها الى افريقيا. وهكذا قررت مؤخرا اخضاع بعض الاحزاب السياسية الافريقية لتأثيرها، وذلك عن طريق ايجاد منظمة سميت "الرابطة الاشتراكية الافريقية". هذه المنظمة التي تم خلقها في نهاية فبراير المنصرم بتونس، تحت اشراف سنغور وبورقيبة، المعروفين بعلاقاتهما الوثيقة مع "السوسيال ـ ديموقراط" الاوروبيين.

ان الأممية الاشتراكية التي كانت تضم حتى فترة متأخرة الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية باوروبا الغربية وحدها، عملت منذ بداية السبعينات على تكثيف نشاطها باتجاه مناطق أخرى من العالم. وقد نجحت خلال السنوات الاخيرة، في آسيا وامريكا اللاتينية على الخصوص، في أن تضع تحت نفوذها تنظيمات اعتبرها مزيفوها تشكيلات فعلية لها. أما في افريقيا فانها لم تنجح في أن تجر وراءها الا بعض الاحزاب المعروفة باختياراتها الاصلاحية ان لم تكن رجعية واضحة مثل حزب الدستور التونسي أو الحزب الاشتراكي السينغالي.

وتجدر الاشارة الى أن الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية باوروبا الغربية كانت بجانب الاستعمار خلال المرحلة التي كانت تناضل فيها الشعوب الافريقية من أجل استقلالها السياسي. ويكفي التذكير بمواقف "الفرع الاشتراكي للاممية العمالية" الذي كان يشارك في الحكم في فرنسا خلال سنوات الخمسينات. وكذا مواقف الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ازاء نضال شعوب جنوب افريقيا.

لقد كان من نتائج الوضعية الجديدة التي خلقتها انتصارات حركات التحرر الوطني على الاستعمار المباشر، ان الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين على مراجعات مواقفهم، فاضطروا الى التعامل مع هذا الواقع الجديد. غير أن هذا لم يمنعهم مع ذلك، من الاستمرار بأشكال مختلفة في حربهم ضد الانظمة التي اختارت بحزم واصرار طريق الاشتراكية العلمية مثل أنغولا والموزمبيق والكونغو والبنين واثيوبيا... وبموازاة هذه الحرب الخفية، فانهم لم يكفوا عن القيام بمجهود في كل حدب وصوب من أجل جذب بعض الاحزاب الافريقية الى مدارها. لكن الحصيلة كانت هزيلة، اذ لم يلتحق بالأممية الاشتراكية سوى الحزبان "الاشتراكيان" بالكاميرون وبدهومي، هذان الحزبان اللذان لم يلبثا أن اضمحلا واختفيا عن الساحة السياسية. وفي ١٩٧٦، كان الحزبان الافريقيان الوحيدان الاعضاء في هذه المنظمة هما: الحزب الاشتراكي السينغالي لسنغور، والحزب العمالي الموريسي (جزيرة موريسيوس).

والحقيقة أن الرئيس السينغالي السابق ليوبولد صدار سنغور كان منذ زمن طويل أداة الاشتراكية الديموقراطية في افريقيا. فابتداء من سنة ١٩٦٢، قام سنغور بأول محاولة لخلق منظمة تكون فرعا تابعا للأممية الاشتراكية. وقد انضم في اليه العاصمة السينغالية داكار عددا من ممثلي الاحزاب الافريقية التي تقارب توجهاتها الايديولوجية والسياسية بشكل أو بآخر من توجهات الأممية الاشتراكية، وتم تنظيم مناظرة حول قضايا "الاشتراكية الافريقية". غير أن هذه المبادرة باءت عند هذا الحد ولم يتبعها أي عمل.

وفي يوليو ١٩٧٥، كانت المحاولة الثانية لخلق "أممية اشتراكية" افريقية، قام بها بشكل مشترك كل من سنغور وبورقيبة، وتعلم لقاء حول "التنمية المخططة والطرق الافريقية نحو الاشتراكية". وقد حضر هذا اللقاء حوالي ثلاثين حزبا وحركة تحرير من افريقيا، وحاول منظمو اللقاء من جديد، الهدف في اللقاء منظمة تضم أحزابا افريقية متنوعة، ومرتبطة بشكل غير مباشر بالأممية الاشتراكية. لكن هذا أيضا فشلت المحاولة نظرا لمعارضة جبل المقاربين لاي فكرة تهدف الى خلق مثل هذا النوع من التنظيم على أساس أرضية "اشتراكية ديموقراطية" مزعومة، اختلفت للعوض النسخة المسبوقة من نفس الدالئة الا وهي "الاشتراكية الافريقية"...

ومع ذلك، وبالرغم من هذا الاخفاق، أعلن المنظمون، بعد اختتام المناظرة عن تشكيل لجنة لتحضير مؤتمر تاسيسي للمنظمة المقترحة في ظرف سنتين، وقد ضمت هذه اللجنة التحضيرية ممثلين عن ستة أحزاب من بينها حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي عن المغرب. وبعد البقاء سنتين لم يعقد الاجتماع بسبب الاوضاع التي كانت تعيشها تونس آنذاك، والتي تجسدت في نهوض حركة مطلبية واسعة قمعت بوحشية وقراسة من طرف النظام التونسي.

لقد تم قبول الحزب الاشتراكي السينغالي في الأممية الاشتراكية ابتداء من

سنة ١٩٧٦، أثناء مؤتمرها المنعقد بجنيف. وفي سبتمبر ١٩٧٨، نظم الحزب السينغالي لقاءً في دكار دعيت اليه عدة أحزاب مواتية للاممية الاشتراكية، وأعلنت هذه الأحزاب مواقفها على غرار "أممية اشتراكية" افريقية. ومنذ ذلك التاريخ ظلت أبصار هذه الظرة عدة لقاءات عابرة في دكار وتارة في تونس، لكن عددهم لم يتجاوز أبدا ستة أو سبعة أحزاب، أي في الواقع الأحزاب الأعضاء في اللجنة التحضيرية السابقة الذكر.

هذه باختصار عديد لمحة تاريخية عن التحضيرات التي انتهت الى تأسيس "الرابطة الاشتراكية الافريقية" في فبراير الماضي.

ويظهر اتجاه "الرابطة" لأول وهلة في الميثاق الذي وافق عليه المؤتمر، حيث نجد في هذه الوثيقة: "أن الطريق الطبيعة هي "الاشتراكية الديموقراطية". ومفهوم "الاشتراكية الديموقراطية" يوضح في مشروع الميثاق الذي أعد في سبتمبر ١٩٧٥، الذي يقول بأن "الاشتراكية الديموقراطية تنبني الصراع الطبقي الذي يقود حتما الى تشييد مجتمع مبني على العدل، وبذلك غير مطابق للهياكل الاقتصادية للمجتمع الافريقي، ولا لتاريخه"...

ومن جهة أخرى يؤكد بيان تونس الذي وافق عليه المؤتمر قائلا: "اننا نؤمن بما في التضامن الفعال ما بين مختلف القوات الاجتماعية من دفع بناء، كما نؤمن بفوائد الحوار في مجابهة الخلافات والنزاعات"...

كما أن الاعلان يقرأ الباب مفتوحا على مصراعيه للروابط المحتملة مع "الاممية الاشتراكية"، عندما ينص على أن: "مهمة الرابطة الاشتراكية الافريقية تكمن في:

— اقامة علاقات الصداقة والتضامن مع المنظمات الاقليمية والعالمية التي تستوحي توجهاتها من النموذج الاشتراكي الديموقراطي"...

من كل ما سبق يظهر أن هذه "الاشتراكية الديموقراطية" المزيفة أبعد ما تكون عن الاشتراكية العلمية، فالاختيار الاصلاحي والرجعي مؤكد بوضوح، وكذلك الروابط المحتملة مع الاممية الاشتراكية.

وليس يمكن أن تكون الامور غير ذلك. فسنغور، مدير هذه السياسة، لم يقم سوى بوضع الفرع الافريقي للاممية الثانية رهن الانجاز، ذلك الفرع الذي خطط له في المكاتب الاوروبية للاممية الاشتراكية، التي يتوفر فيها سنغور على منصب رئيس مساعد.

ولم يفت القوضى المنبثقة عن مؤتمر تونس، التنديد بـ"التدخل السوفياتي في أفغانستان" والتعبير عن الدعم والتضامن مع "المقاتلين الافغان". في حين لا تتوج النقاط الخمس الاخرى للقوضى ولو بكلمة واحدة حول السياسة العدوانية للامبريالية ضد الشعوب المكافحة، بينما الدعم الوحيد الذي قدم لحركات التحرير في ناميبيا وافريقيا الجنوبية هو دعم شكلي لا يتعدى الالفاظ، بحيث انه لم يقدم أي برنامج ملموس لمساعدة هذه الحركات، ويبقى البرنامج المقدم في هذا الشأن

غامضا، كما يقرأ المجال مفتوحا لكل المناورات. والحقيقة أن هذا الموقف موحى به مباشرة من طرف "السوسيال — ديموقراط" الاوروبية، التي تحارب في الواقع قوى التحرر والتقدم في افريقيا، متحدة في نفس الوقت بالتمييز العنصري الذي لم يعد مؤرقا للمحافظ على مصالح الرأسمال العالمي، الذي يعتبر دعاة "السوسيال — ديموقراط" خدامه الاوفياء".

وهكذا تحت غطاء الايديولوجية "الاشتراكية الديموقراطية" يختفي في الحقيقة التعامل الوثيق مع الاستعمار الجديد. وليس من قبيل الصدفة أن يكون من بين المشاركين في مؤتمر تونس، أولئك الذين يدعمون ويساندون العمليات الانفصالية في انغولا، والذين لم يعترفوا لحد الان بالسلطة الشرعية القائمة. وليس من قبيل الصدفة كذلك أن يوجد بينهم أولئك الذين يمثلون انقاذ "قوة افريقية متعددة الجنسيات" تحت غطاء "افريقيا للافريقيين". هذا الشعار المغرض الذي يخفي العداء لاي تضامن فعلي مع الشعوب الافريقية التي تناضل ضد الاستعمار الجديد والتمييز العنصـــــري.

لكن المواقف السياسية، والمفاهيم "الاشتراكية" لسنغور معروفة منذ زمن طويل. فخلال عشرين سنة من حكمه للسينغال، لم يعرف هذا البلد ولو طلقة اشتراكية بل على العكس، تقاسمت ثرواته الاقتصادية والسياسية اثرياء الغرب والامبريالية. وهذا ليس بالغريب، فهل ليس الاستعمار هو الذي فرض سنغور وأنصاره؟

وقد شرح زعيم الحزب الديموقراطي السينغالي استقالة سنغور من رئاسة الجمهورية، قائلا: "ان الرئيس يذهب لان الوضعية الاقتصادية والمالية تدهورت كثيرا. انه يترك البلاد في وضعية الافلاس التام"...

ومع ذلك، فهناك بعض من رأوا في هذا القرار — مثل بعضهم في المغرب — انه "ينم عن شجاعة سياسية"... وصامير باعجاب: "براڤو" الشيخ سنغور"...

كيف يمكن الاندهاش لهذا الحماس عندما نعرف روابط الصداقة الحميمة التي تربط بين سنغور والكاتب الاول للاتحاد الاشتراكي. وبمقتضاها ان نضال الحاكم لم تشارك قيادة الاتحاد الاشتراكي في مؤتمر تونس الا للملاحظة، بينما ساهمت في كل الاجتماعات التحضيريـــــة.

يظهر أن الخلوف من استنكار قواعد الحزب هو الذي كان وراء هذا التراجع في آخر لحظة. وقد تم تبرير هذا الموقف الخريت والانتظاري بأن "مؤتمر الحزب المقبل هو الذي له صلاحية الحسم في الانخراط في الرابطة". وهذا لم يمنع أبدا الكاتب الاول للاتحاد الاشتراكي من توجيه رسالة مفعمة بالحرارة الى مؤتمر تونس يقول فيها على الخصوص: "ان الاتحاد الاشتراكي يظل واعيا بضرورة العمل من توطيد التفاعل بين الاحزاب الافريقية التي لها نفس اهداف تحقيق الاشتراكية في الديموقراطية ومن طريق الديموقراطيـــة".

ان هذه الرسالة تكشف عن أمال يمين الاتحاد الاشتراكي وميوله بالقلب باتجاه الانخراط في الرابطة.. فلا غرابة أن يتساءل المناضلون عن "مدى التزام (الاتحاد الاشتراكي) باختيار الاشتراكية العلمية"...

ان مهمة المكتب السياسي تظهر عويصة: وهي اقناع المناضلين الذين عبروا عن تشبثهم الوثيق بالاشتراكية العلمية، بأن هذه الاخيرة لا تتناقض في شيء مع "الاشتراكية الديموقراطية" التي يتزعمها ستفور ويورقيبة. ستكون المسألة عويصة، جد عويصـــة...

★

ابن رشد : قمة الفكر العقلاني العربي

في العدد الاخير من "الاختيار الثوري"، قدمنا عرضا مبسطا للتعريف ببعض الجوانب من أعمال العالم العربي الكبير ابن خلدون. وفي هذا العدد نتطرق لعالم آخر من المع واشهر علمائنا وهو ابن رشد.

يعد ابن رشد أحد العالم البارزة في تطور الفكر العربي الوسيط. وتتجلى أهميته في كونه قد ساهم مساهمة فعالة في دحض الفكر المثالي الغيبي الجامد المعادي للعلم والعقل، الذي شهد انتعاشا كبيرا على يد الغزالي. وكذا في كونه قد اخرج الفكر العقلاني من ارهاصاته الاولى، في وقت كان يتسم بالارهاب الفكري وبمحاربة العقلانيـــة.

المميزات الاساسية للمجتمع العربي الاسلامي في عهد ابن رشد

لفهم فكر ابن رشد، لا بد من وضعه في اطاره التاريخي العام، واستعراض الجوانب والعوامل التي ساهمت في ارساء ارضيته الفكرية. ومن أهم هذه العوامل :

١- التطور البارز والملحوظ للاتجاه الارسطي (نسبة الى ارسطو) المادي على يد ابن سينا في المشرق، وابن باجة وابن طفيل في المغرب العربي. هذا الاتجاه الذي اكتسب هنا وهناك مضامين عقلانية عميقة.

٢- التاثير الفكري الكبير الذي مارسه مؤسس دولة الموحدين ابن تومرت

بشكل مباشر على التطور الفكري اللاحق ضمن هذه الدولة.

ب- الحملة التي أطلقت ضد الغزالي في المغرب العربي (الجزائر تلمسان) في الوقت الذي كان فيه الشرق العربي ما يزال يعاني من تأثيرات فلسفته الغيبية الظلامية والتي استخدمت كذريعة لضرب الأفكار العلمية العقلانية. وهذا يعني، أن الحصار الذي أحكم ضد الفلسفة في المشرق، لم يكتسب في المغرب العربي أهمية ملحوظة، بل أن الفلسفة العقلانية المتجسدة بتيار مادية، اكتسبت أهمية خاصة من خلال تفاعلها ضد التصوف والغيبية عموماً، وفكر الغزالي الظلامي خصوصاً.

ج- البنية الاجتماعية - الاقتصادية والسياسية التي سادت كإطار عام، وبشكل غير مباشر، في تكوين فكر ابن رشد، حيث تميزت هذه البنية بتقدم الانتاج البضاعي وتعاظم دور المثقف، وتطور الرأسمال التجاري والرأسمال التجاري، بالرغم من أن هذا التطور بقي محرضاً - وخصوصاً في مراحل اضمحلال الدولة العربية الاسلامية الوسيطة - لخطر انتصار العلاقات الاجتماعية الاقطاعية. الى جانب ذلك، تلاحظ أنه لم يتشكل في الدولة الاسلامية العربية، جهاز أيديولوجي مستقل وتمييز من الناحية الاجتماعية الطبقية عن مجموع قطاعات المجتمع، وان كان هذا قد برز في الفترات اللاحقة من تطور الدولة. هذا بالاضافة الى الحرية الفكرية والسياسية التي مارستها الاوساط غير المسلمة، اذ أن وضوح التعدد في الاديان، أصبح مجالاً لتجاذبها التعصب الديني.

نظرية المعرفة عند ابن رشد

يوجه ابن رشد نقداً أساسياً جذرياً لنظرية المعرفة عند أفلاطون، ولوجهات نظر الكلاميين والفلاسفة المثاليين القيميين، وعلى رأسهم الغزالي. هذه النظرية التي تقول بأن تحصيل المعرفة عند الانسان لا يكون من خلال كشف حقيقي لجوانب جديدة من شيء أو قضية، وانما من خلال تذكر المعرفة التي يمتلكها في لحظة ما، عندما كانت نفسه في "عالم المثل"، عالم النفوس المجردة من المادة المحسوسة الفاسدة. وفي هذه الحال، وكما يظهر من هذا الطرح، لا يمكن التحدث عن معرفة جديدة يحققها الانسان.

وبالمقابل، يعتبر ابن رشد بأن تحصيل المعرفة يشترط بالضرورة وجود معطيين هما الواقع الخارجي الموضوعي من طرف أول، ثم الحواس كوسيط مباشر بين الواقع وبين الكليات (أي المفاهيم والمقولات) من طرف آخر. لهذا، فعلينا أن نحس أولاً ما الذي نستطيع استيعابه فكرياً، وعملية الاستيعاب هذه، تتطور تاريخياً.

وترتكز نظرية المعرفة عند ابن رشد على النقط الأساسية التالية:

1) أن "الموضوع" الخارجي الموضوعي، أو المادة، أو العالم المادي على وجه العموم، هو الأسبق في الوجود على الوعي أو العالم العقلي، وأن وجود هذا الأخير

(العقلي) مرتبط بوجود الأول (المادي) ولا يصح العكس.

2) ان موضوع، أو ينبوع المعرفة الانسانية، هو العالم الخارجي الموضوعي. وهكذا، فالمعرفة ليست عملية استعادة لأفكار موجودة مسبقاً في عالم لامادي غير عالمنا، بل انها تتكون ضمن معطيات الواقع الموضوعي الخارجي، وهي مشروطة بهذه المعطيات.

3) ان المعرفة هي الوجه النظري من الوجود المادي الموضوعي، وهي بالتالي العقلاني لذلك الوجود.

4) ان التجربة العملية والعلمية وسيلة، أو وسيط لا مناص منه في تحصيل المعرفة بين الوجود المادي الموضوعي والوجود الفكري.

5) ان المعرفة لا تتحقق نتيجة حدس أو تبن فكري لجاني، وانما تتم عبر عمليات معقدة وطويلة في الاحساس والفكر الانسانيين (تاريخية المعرفة).

ان نظرية المعرفة كما طرحها ابن رشد تمثل تقدماً عملاقاً في تاريخ الفلسفة على وجه العموم، وتحتفظ بأهميتها البارزة حتى أيامنا هذه، بل وتطرح مجدداً بمستويات جديدة.

دحض مفهوم القدمية

لقد جابه ابن رشد مسألة خلق العالم المادي من عدم مطلق، وكون العدم سابق على الوجود، موكداً أن العالم المادي كان دائماً موجوداً، وهو لا يزال كذلك، وسوف يكون أبداً. ويجتمع في رأيه حول قدم العالم على موضوعة أرسطو الأساسية عن الوحدة التي لا تنفصم بين الزمان والحركة. فهذان (أي الزمان والحركة) غير مخلوقين، انهما سرمديان وأبديان، ذلك أنه من العبث وعدم الدقة القول بأن الزمان حادث لأنه سيقودنا الى افتراض أزمان كثيرة بشكل لا نهائي قبل هذا الزمان (أي أنه اذا كان هذا الزمان حادث، فلا بد من زمان قبله دائماً على وقت حدوثه). فالزمان والحركة يوجدان على نحو لا ينفصلان فيه عن بعضهما، أما الذهن الانساني فيدرك ويستوعب الزمان في ارتباطه مع الحركة ادراكاً واستيعاباً نظرياً فكرياً، ولكنه لا يخترعه الوجود أصلاً. ويقر ابن رشد بـ"أن تلازم الحركة والزمان صحيح، وأن الزمان هو الذي" يفعله الذهن في الحركة، لكن الحركة ليست تبطل ولا الزمان، لأنه ليس يبطل وجود الزمان، الا مع الموجودات التي لا تقبل الحركة، وأما وجود الموجودات المتحركة أو تقدير وجودها، فيلحقها الزمان ضرورة".

ان هذا الزمان ليس فقط لا بداية له، وانما أيضاً ليس له نهاية، وهنا يتوصل ابن رشد الى الاستنتاج الجوهري: ان "ما لا أول له فلا آخر له، وما لا آخر له فلا انقضاء لجزء من أجزائه بالحقيقة، وما لا مبدأ لجزء من أجزائه بالحقيقة فلا انقضاء له". فاللابداية واللانهاية، هما التحديدان الوجوديان الجوهريان للزمان والحركة في رأي

ابن رشد، ذلك "لانه لا يتخطى الا ما ليبدأ". واذا كان الزمان والحركة لا بد ازليين، فانهما كذلك، فقط من خلال ارتباطهما وجوديا بالعالم المادي.

ان ابن رشد، بدأ، على هذا، يرفض مفهوم الخلق من عدم، من لا شيء، ويؤكد بأن "كل شيء" يكون دائما هو من شيء ويبقى". ويبين بأنه ليس هناك من عدم مطلق محض، وليس هناك من خلق من مثل هذا العدم المزعوم، ما دام العالم لا يقوم وجوده الا بالحركة.

الفكر العقلاني عند ابن رشد

لقد مارست قضية العلاقة بين المادة والصورة (أي الاشكال التي تتخذها المادة) عند ابن رشد دورا فعالا في تدعيم الاتجاه المادي، فلقد حقق فيها خطوة جديدة لهذه القضية، تقدما عميقا عن أرسطو، اذ ان علاقة المادة بالصورة وبالعالم، اكتسبت لدى ابن رشد ابعادا جديدة غنية بالمطامح الفلسفية.

في يد" الآخر، يقر ابن رشد مبدأ جوهريا في مذهبه الفلسفي، وهو أن الصورة والمادة هما الدان واذ يطان، أي غير مخلوقتين، وفي الوقت الذي يتحدث فيه ابن رشد عن هذه المادة، فانه يعني بها المادة الاولى التي ليس يمكن أن تتعرى عن الصورة، فلا شيئا لا يمكن فصله عن الآخر، أو في الحالات القصوى يمكن ذلك لكن ضمن التحديدات المنطقية، ذلك لان "المادة علة للصورة بوجه، والصورة علة للمادة بوجه".

لا شك أن ابن رشد، في وضعه للمسألة على هذا النحو، أرسى خطوة رئيسية على طريق تجاوز الفصل الميتافيزيقي بين المادة والصورة، ولكن هذا ليس آخر كلمة له في هذا المجال، حيث يؤكد بأن "الموضوع الذي ليس فيه شيء" من الفعل أصلا هي المادة الاولى . . . واذا كانت (أي المادة الاولى) شيئا ما بالفعل، فهي ضرورة اما جسم، واما نفس، واما عقل". وبهذا يبرز لنا القوة الخلاقة للمادة، بحيث أنها تطور فتكتسب صورا وأشكالا عقلية، وان الصور ليست في عمق ذاتها لانه لا يمكن أن تقاس وأن تحدد من خلالها هي نفسها، بل ان المادة هي العامل الذي يطبع الصورة ويحدد دعا على تحولها، وبهذا المعنى تطرح الصورة من خلال المادة وغيرها.

لقد استطاع ابن رشد أن يرجع الصورة الى التغيرات الكمية التي تطرأ على المادة، فالصورة تبرز على هذا الاساس من حيث هي الوظيفة الداخلية للمادة وأسلوب وجودها الكلي، انها عماد المادة وجوهرها الكمي، والمادة موجودة حسب ذلك العماد والجوهر، على هذا النحو أو ذاك، ولكنها تحتوي دائما عنصر التحقق، أي التحول النوعي من شكل الى آخر.

ان هذا الامر يتوضح من خلال حقيقة أن المادة نفسها موضوع عملية تحول

خالدة لا تتوقف . والمادة هذه (أي الوجود المادي) ، والزمان الخالد لا ينقطعان ولا يتوقفان عن الوجود من ناحية "القبل" (أي ما قبل) ، ومن ناحية البعد (أي ما بعد) على حد سواء، أي من ناحية الازلية والابدية، موجودان بشكل ضروري في حركة ازلية أبدية، والذي يحدد هذه الحركة ويميزها هو كونها الحركة من القوة (الامكان) الى الفعل (التحقق)، أي كونها عملية التحول من ذلك الى هذا.

والتحول هذا عند ابن رشد، يعني التغير عموما. والحقيقة أن من يمعن في تقصي المسألة هذه في منظومته الفلسفية يستطيع التنبه عناصر كبيرة في أهميتها الفلسفية والعلمية. ان ابن رشد يتحدث عما يعني التأثير والتأثر المتبادلين والشاملين في تطاق ظاهرات العالم كله، وفي خلال ذلك يبرز تأكيده على حفظ المادة والحركة بشكل مطلق، أي ليس هناك من شيء يضمحل بشكل مطلق، بل هناك تحول من شكل الى آخر جديد من المادة، والمادة تبقى خالدة وثابتة.

هكذا يثير ابن رشد بعمق عدة مشاكل الفلسفية الخاصة بالتطور والوجود والخلود، ويسير غير المشكلة على نحو أكثر تحديدا ووضوحا، حيث يرى أن "كل واحد من المعقولات هو فساد للآخر، وفساده هو كون لغيره"، وهذا تعبير عن قانون التأثير والتأثر المتبادلين والشاملين بين مجموع ظاهرات العالم.

ان ابن رشد في نظريته حول العالم المادي القديم الواحد، وفي نظريته حول التطور وحفظ المادة، قد طرح الفكر المادي في وحدة عضوية مع الفكر الجدلي، فأثر بذلك على مجموعة كبيرة من المفكرين الاوروبيين في العصر الحديث، بشكل مباشر أو غير مباشر، وبشكل خاص على طريق المدارس الرشدية (نسبة الى ابن رشد) التي تكونت هنا وهناك في بلدان أوروبية معينة.

ان الحركة الابدية والذاتية في العالم المادي هي، حسب ابن رشد، مفتاح الكشف عن ذلك العالم المادي في تنوعه وتعدده، الخضم، فالسبيل الخاص التي يتطرق منها الى معرفة ذوات الاشياء المجهولة هي أفعالها الخاصة بها، وفعلها هذا هو التغيير، وقد جليت، وجهة النظر هذه حول المادة، النتيجة الجوهرية الكبيرة، وهي أن المادة باعتبارها لا توجد أصلا الا من خلال صورة معينة، فان القيام بدراسة الصورة التي اكتسبتها في وجودها أمر لا بد منه في سبيل معرفتها بذاتها، أي ذات المادة. والمسألة الموضوعية على هذا النحو، تكاد تتحدد بكون المادة "الجوهر والصورة "الظاهرة"، والظاهرة هنا لا تقل في جوهريتها عن جوهرية المادة، انما تبقى هنا الباب الى النفاذ الى ذات المادة، اذ ان الشيء في ذاته (أي المادة) لا يمكن الا أن تتحول الى شيء ظاهري، وحين يضع ابن رشد الصورة فوق المادة، فانه لا يفعل ذلك بالمعنى الوجودي، أي بمعنى أن الصورة لها الاولوية في الوجود على المادة، بل انطلاقا من اعتبار نظري معرفي، بحيث تظل الصورة هي السبيل المباشر الى ذات المادة، والاولوية الوجودية تظل تحتفظ بها المادة تلقاء الصورة.

خاتمة

لقد استطاع ابن رشد، عبر طرحه لمسألتي العلاقة بين الصورة والمادة، ووحدة العالم الكونية المادية، أن يساهم في تطوير الفلسفة المادية والجدلية، وخصوصا في تأكيده على العالم في وحدته المادية من طرف أول، ثم في أبعاد المفهوم العقلاني العلوي من مذهبه الفلسفي، إذ أن ما حققه في هذا المجال، يبقى خطوة هامة في تاريخ الفكر العقلاني الجدلي، هذا يعني أن ابن رشد قد أرسى حجرا خطيرا أساسيا لعملية تجاوز الثنائية بين المادة والصورة.

لقد كانت خطوة ابن رشد مكتسبا كبيرا للفكر المادي الجدلي، ضمن الفكر العربي الاسلامي، حيث وحد بين الوجود والجوهر، بين الظاهرة والجوهر، عندان التدان عانيا من الانفصال الميتافيزيقي لدى أفلاطون وأرسطو والفارابي الشيء الكثير.

ان انتقاد أرسطو لأفلاطون حول مفارقة الوجود وبالتالي فصل الجوهر عن الظاهرة، أو المادة عن الصورة، لم يحمد أمره على يد أرسطو نفسه، الذي وقع في نفس المشكلة ـ وان كان على نحو آخر ـ ، ان هذه الشذرات كانت نتيجة مجهود دائم وعميق أوصله ابن رشد الى قمته، أخذا بعين الاعتبار ما قدمه في هذا السبيل كل من الفارابي وابن سينا وابن طفيل.

★

قمع ومحاكمات

• قوات القمع تقتحم حيا شعبيا بالدار البيضاء يوم ٢٥ مارس، فتعتقل العشرات من السكان، وتقوم باعتقالات واسعة في صفوفهم، بعد عملية التنكيل التي دامت ساعات طويلة والتي خلفت عددا كبيرا من الجرحى وسط المواطنين الابرياء.

• في منتصف شهر أبريل قامت السلطات المحلية بمدينة الرحامنة باعتقال عدد من التلاميذ لانهم قاموا بمظاهرة دفاعا عن التجار الكبار المضاربين الذي اخفى عشرات الاطنان من الدقيق والحبوب قصد بيعها في السوق السوداء بثمن مرتفع.

• في يوم ٦ أبريل تم اعتقال مسؤول فرع الجمعية المغربية لحقوق الانسان بمدينة الجديدة، على اثر مساهمته في تخليد ذكرى يوم الارض تضامنا مع الشعب الفلسطيني.

• الحالة الصحية للمناضل عبد العالي بنشقرون، المحكوم بثلاثين سنة سجنا والموجود بالسجن المركزي بالقنيطرة، تسير من سيء الى أسوأ : انه مهدد بفقدان بصره، ورغم المحاولات المتكررة التي قامت بها أسرته ورفاقه بالسجن، لا زال لم يتوفر على أي علاج جدي لانقاذ بصره.

• اختفاء الطالب السوازي محمد الذي يدرس بالسنة الخامسة بكلية الطب بالرباط، وذلك منذ مساء ١٩٧٩.

• في يوم ٢٥ أبريل قام فرع الاتحاد بمدينة تزنيت بتخليد الذكرى الثانية لاستشهاد المناضل محمد أكريط الذي لفظ أنفاسه يوم ٢٤ أبريل ١٩٧٩ على اثر التعذيب الوحشي الذي تعرض له في مركز الشرطة بأكادير.

وأثناء هذه التظاهرة، تدخلت قوات القمع واعتقلت المناضلين الاتحاديين من العشرات بالقوة واعتقلت بثلاثة عشر منهم، متابعة ضدهم جميع أساليب التنكيل قبل اطلاق سراحهم في وقت متأخر. لكنها اعتقلت بالمناضل خليل عبد الله، وهو

طالب بالسنة الأخيرة من الثانوي. كما أنها اعتقلت المناضل رحيم عبد الله في نفس اليوم. وتم تقديمها إلى المحكمة يوم ٢٧ أبريل تحت تهمة "عقد تجمع بدون رخصة" و"الإخلال بالأمن". وفي مساء يوم ٢٠ أبريل تم اعتقال المناضل الشقيق أحمد عضو الكتابة الإقليمية بأكادير وكاتب فرع الاتحاد بالزلان، والمناضل بوعوش أحمد، وتمت اعتقالهما على النهاية العامة قبل إيداعهما بالسجن تحت نفس التهم المطلقة.

ولقد قضى مولاي المناضلين الأربعة أغرابا عن النظام لمدة ثمانية وأربعين ساعة أبتدأ من يوم ٦ ماي، احتجاجا على سوء معاملتهم وعدم تلبية مطالبهم. وفي يوم ١١ صدرت في حقهم أحكام جائرة، كانت كالتالي:

رحيم عبد الله: ستة أشهر سجنا نافذا، وغرامة ١٠٠٠ درهم.

خليل عبد الله: ستة أشهر سجنا نافذا، وغرامة ٥٠٠ درهم.

الشقير أحمد: ستة أشهر سجنا نافذا، وغرامة ٥٠٠ درهم.

بوعوش أحمد: ستة أشهر سجنا نافذا، وغرامة ٥٠٠ درهم.

• في نفس الفترة تم طرد أربعة عشر تلميذا يتراوحت من مستوى السادسة والسابعة من الثانوي، كما منع المناضل خليل عبد الله من اجتياز امتحانات الرياضة تمهيدا لامتحان البكالوريا، ولم يعطى له حق الدخول بالكتب المدرسية لتهيئ الامتحان بالسجن. ولذلك الأمر بالنسبة للمناضل بوالين الحسين المحكوم بثلاثة أشهر سجنا.

• وفي الأيام القدمت نيابة وزارة التعليم على منع ١٢ طالبا من الترشيح لامتحان البكالوريا، كما تم طرد طالبين من مستوى السنة السادسة ثانوي.

فاتح ماي

• في عيد الطبقة العاملة، شهدت معظم المدن المغربية تظاهرات واستعراضات رائعة شارك فيها عدد كبير من المواطنين، وبخاصة العمال والشباب. ولقد كانت استعراضات الكونفدرالية الديموقراطية للشغل، مثيرة للانتباه من حيث كثافة المشاركين ومضمون الشعارات المرفوعة، التي كانت تعبيرا صارخا عن انشغالات الطبقة المغربية والجماهير الشاعبة في جميع المجالات: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولذا القومية والدولية.

إلا أن هذا العيد تميز كذلك بالإجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات في حق الكونفدرالية الديموقراطية للشغل قصد التقليل من تأثيرها. ولقد تجلت هذه العراقيل بوضوح في الدار البيضاء حيث منعت الكونفدرالية من تنظيم مسيراتها بالشوارع التي اعتادت شغلها، كما لم يرخص لها بتنظيم مهرجانها بحديقة جرسيف ...

• في شهر مارس الماضي، بعد انعقاد مؤتمر الاتحاد الاشتراكي بحديقة الشقيف بنصالح من طرف السلطات المحلية واعتقال مجموعة من المناضلين الاتحاديين تحت تهم واهية، صدرت في حق المجموعة الأولى الأحكام التالية:

منير عمر: عضو اللجنة الإدارية للاتحاد الاشتراكي: ثلاثة عشر شهرا سجنا نافذا، وغرامة قدرها ١٥٠٠ درهم.

براهي محمد: عضو الكتابة الإقليمية للاتحاد ببني ملال: ثلاثة عشر شهرا سجنا نافذا، وغرامة ١٥٠٠ درهم.

رضى محمد، بزوي الحسين والزيدي مصطفى: خمسة أشهر موقوفة التنفيذ.

أما المجموعة الثانية التي مثلت أمام المحكمة الابتدائية ببالمرا بعد النطق بالأحكام على المجموعة السابقة، فقد التزمت الصمت طوال المحاكمة ورفضت بذلك تزكية هذه المهزلة القضائية. المعروفة نتائجها مسبقا. وبالفعل، فقد صدرت في حقهم أحكام قاسية كانت كالتالي:

بوكرين محمد: عضو اللجنة الإدارية الوطنية للاتحاد الاشتراكي، والكاتب الإقليمي لفرع بني ملال، وعضو اللجنة الوطنية للجمعية المغربية لحقوق الإنسان: ستة سجنا نافذة.

كراسة عبد القادر، مهيمي محمد، الفداد محمد، نضار بوعزة: ثلاثة أشهر سجنا نافذة.

وفي يوم ١١ ماي، بعد رفع القضية أمام محكمة الاستئناف ببني ملال، قوبل" الرأي العام بإعلان المحكمة عن رفع الأحكام من مدة ٣ أشهر سجنا نافذة الى ستة أشهر ضد المناضلين كراسة ومهيمي والفداد ونضار. أما بالنسبة للمناضلين الآخرين، فقد أكدت المحكمة الأحكام الابتدائية التي صدرت ضدهم.

*

من مطبوعات

"الاختيار الثورى"

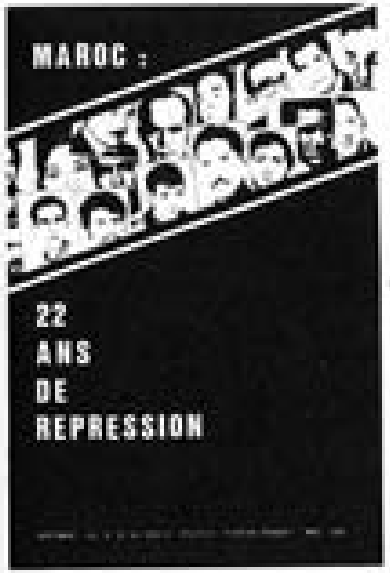

٢٢ سنة من القمع .

الملف الاسود لجرائم النظام في حق الشعب المغربي و طلائعه المناضلة (بالفرنسية)

ك . د . ش .

سلسل الانتفاضة العمالية ضد البيروقراطية النقابية الذى توج بتكوين الكونفدرالية الديمقراطية للشغل (بالفرنسية)

قريبا

كراس باللغة الفرنسية :

"الاختيار الثورى" : تحاليل و مواقف

Abdelkrim Abbassi
Maison Commune 11 rue de la Paix
78730 - ROCHEFORT en YVELINES

الاشتراك السنوي :

50 ف ف او ما يعادلها

الطلبة : 35 ف ف او ما يعادلها

الاشتراك التشجيعي : غير محدود

الحساب البريدي :

Action Socialiste
CCP 115150 D
La Source